الإخلاص

طريق الخلاص

تأليف

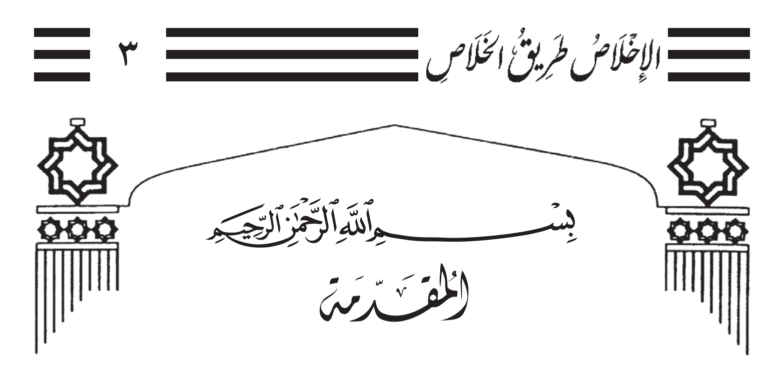
عبد الهادي بن حسن وهبي



الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

جمعية السراج المنير الإسلامية

لبنان - بيروت - هاتف وفاكس: ٠١/٧٩١٠٥١ ص.ب: ١٣٦٠٩٣ شوران
الموقع على الشبكة: www.asseraj.net - بريد إلكتروني: asseraj@asseraj.net
رقم الحساب: (٣٣٠٤) بنك البركة - بيروت



إنَّ الحمدَ لِلَّهِ نحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستغفِرُهُ، ونَعُوذُ باللَّهِ مِن شُرورِ أنفُسِنا وسَيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يَهدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَن يُضلِلْ فلا هادِيَ لَهُ، وأشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ، وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأشهَدُ أنَّ مُحمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أَمَّا بَعدُ: فَإِنَّ أَصدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعدُ: «فَإِنَّ المُخلِصِينَ هُم أَهلُ الهِمَمِ العَالِيَةِ وَالأُجُورِ الفَاضِلَةِ، وَإِنَّ الجَزَاءَ بِحَسَبِ الإِخلَاصِ، وَالأَعمَالُ بِالنِّيَّاتِ؛ وَالعَمَلُ القَلِيلُ مِنَ المُخلِصِ، يَزِنُ الأَعمَالَ الكَثِيرَةَ مِمَّن لَم يَكُن كَذَلِكَ.

وَالمُخلِصُونَ هُمُ الَّذِينَ يُخلِصُهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنيَا مِنَ الفِتَنِ وَالآثَامِ، وَمِنَ العُقُوبَاتِ وَالآلَامِ، وَبِإِخلَاصِهِم يُحِلُّهُمُ المَقَامَاتِ العَالِيَةَ فِي دَارِ السَّلَامِ.

وَالإِخلَاصُ هُوَ السَّبَبُ الوَحِيدُ المُنجِي مِنَ المَكَارِهِ، المُحَصِّلُ لِلمَحَابِّ كُلِّهَا، وَاللَّهُ تَعَالَى لَم يَخلُقنَا إِلَّا لِنُخلِصَ لَهُ الدِّينَ، وَنَقُومَ بِعُبُودِيَّتِهِ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»[1].

---

(١) «المجموعة الكاملة» (٥/ ١/ ٤٨١) بتصرُّف، للعلَّامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

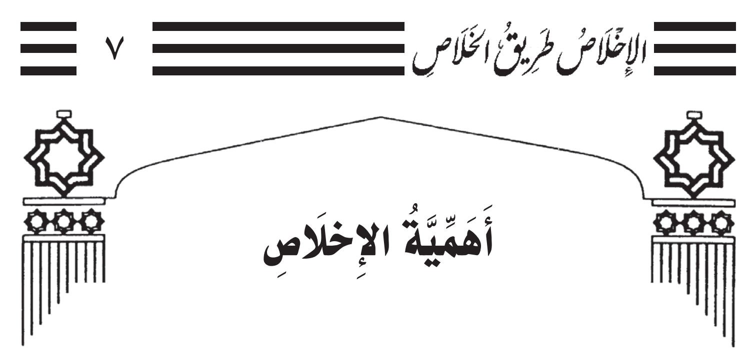
فَلِشِدَّةِ الحَاجَةِ إِلَى الإِخلَاصِ وَلِعِظَمِ شَأنِهِ، وَلِكَونِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ المُسلِمِينَ فِي أَشَدِّ الحَاجَةِ إِلَى الإِخلَاصِ، جَمَعتُ هَذَا البَحثَ تَذكِيرًا بِالإِخلَاصِ، وَحَثًّا عَلَى طَلَبِهِ وَالقِيَامِ بِحَقِّهِ. وَاللَّهَ أَسأَلُ أَن يَجعَلَهُ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِي: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: ٦]، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

الرَّاجِي عَفوَ رَبِّهِ
عَبدُ الهَادِي بنُ حَسَنٍ وَهبِي[1]

* * *

---

(١) بيروت - لبنان. ص.ب ٦٠٩٣/ ١٣ شوران.
هاتف: ٦٢٦٧٨٧/ ٠٣ - فاكس: ٧٩١٠٥١/ ٠١.
موقع الإنترنت: www.asseraj.com.
البريد الإلكتروني: asseraj@asseraj.net.



أَهَمِّيَّةُ الإِخلَاصِ

الحَدِيثُ عَنِ الإِخـلَاصِ: حَدِيثٌ عَزِيزٌ وَغَرِيبٌ. غَرِيبٌ: أَوشَكَ أَن لَا يُعرَفَ، وَعَزِيزٌ: كَادَ أَن لَا يُوجَدَ.

الإِخـلَاصُ عَظِيمُ القَدرِ، جَلِيلُ النَّفعِ. بِـهِ يُنَالُ المَطلُوبُ وَالمَقصُودُ.

وَهُوَ رُوحُ الأَعمَالِ؛ إِذَا خَلَت مِنهُ كَانَت كَالجَسَدِ بِلَا رُوحٍ، وَكَشَجَرَةٍ بِلَا ثَمَرٍ. وَهُوَ طَرِيقُ الخَلَاصِ.

وَشَتَّانَ بَينَ قَومٍ سَلَكُوا طَرِيقَ الرِّيَاءِ، وَقَومٍ سَلَكُوا طَرِيقَ الإِخلَاصِ.

وَاللَّهُ ﷻ خَلَقَنَا لِعِبَادَتِهِ وَأَمَرَنَا بِالإِخلَاصِ فِي هَذِهِ العِبَادَةِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

وَكَفَى بِهَذِهِ الآيَةِ دَلِيلًا عَلَى شَرَفِ الإِخلَاصِ وَلُزُومِ

الإقبَالِ عَلَيهِ، فَحَقَّ لِلعَبدِ أَن لَا يَشتَغِلَ إِلَّا بِهِ، وَلَا يَتعبَ إِلَّا لَهُ، وَلَا يَنظُرَ إِلَّا فِيهِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزمر: ١١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢ - ٣]؛ فَأَفَادَتِ الآيَةُ أَنَّ الإِخلَاصَ شَرطٌ فِي دِينِ الإِسلَامِ، وَهُوَ دِينُ الأَنبِيَاءِ أَجمَعِينَ، وَطَلَبُ الإِخلَاصِ فِي جَمِيعِ الشَّرَائِعِ: دَلِيلٌ عَلَى عِظَمِ مَنزِلَةِ هَذَا الخُلُقِ العَظِيمِ.

وَاستَثنَى اللَّهُ طَائِفَةً مِنَ البَشَرِ كُلِّهِمُ الهَالِكِينَ الخَاسِرِينَ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء: ١٤٦]؛ فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَخلَصُوا دِينَهُم لِلَّهِ فَقَصَدُوا وَجهَ اللَّهِ بِأَعمَالِهِمُ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، وَسَلِمُوا مِنَ الرِّيَاءِ وَالنِّفَاقِ. فَمَنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ، فَأُولَئِكَ مَعَ المُؤمِنِينَ: فِي الدُّنيَا، وَفِي البَرزَخِ، وَالقِيَامَةِ. وَسَوفَ يُؤتِيهِمُ اللَّهُ أَجرًا عَظِيمًا: مُشتَمِلًا عَلَى المَطَالِبِ العَالِيَةِ، وَالمَحَابِّ الغَالِيَةِ، لَا يَعرِفُ قَدرَهُ وَلَا يَبلُغُ كُنهَهُ إِلَّا اللَّهُ: مِمَّا لَا عَينٌ رَأَت، وَلَا

أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.

وَالإِخلَاصُ هُوَ التَّاجُ عَلَى الأَعمَالِ، وَقَد جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى شَرطًا لَا بُدَّ مِنهُ لِرَجَاءِ النَّجَاةِ وَالفَلَاحِ يَومَ القِيَامَةِ. قَالَ ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

«فَالعَمَلُ الصَّالِحُ: هُوَ الخَالِي مِنَ الرِّيَاءِ، المُقَيَّدُ بِالسُّنَّةِ»(١).

عَن أَبِي الدَّردَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«الدُّنيَا مَلعُونَةٌ، مَلعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا مَا ابتُغِيَ بِهِ وَجهُ اللَّهِ عز وجل»**(٢).

كَيفَ لَا تَكُونُ الدُّنيَا مَلعُونَةً؟! وَهِيَ عَن ذِكرِ اللَّهِ شَاغِلَةٌ، وَلِمَن نَظَرَ إِلَيهَا فَاتِنَةٌ، وَلِمَن رَكَنَ إِلَيهَا قَاتِلَةٌ، وَلِمَنِ استَصحَبَهَا غَاشَّةٌ، وَلِمَنِ استَنصَرَهَا خَاذِلَةٌ.

---

(١) «الداء والدواء» (ص١٩٥) [طبعة دار الكتاب العربي- بيروت].

(٢) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٦١٢)، وحسنه لغيره الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٩).

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ - مُوضِحًا أَهَمِّيَّةَ الإِخلَاصِ وَمَكَانَتَهُ -: «العَمَلُ بِغَيرِ إِخْلَاصٍ وَلَا اقتِدَاءٍ، كَالمُسَافِرِ يَملَأُ جِرابَهُ رَملًا يُثقِلُهُ وَلَا يَنفَعُهُ»[١].

* * *

(١) «فوائد الفوائد» (ص٤٤٢).

تَعرِيفُ الإِخلَاصِ

الإِخلَاصُ فِي اللُّغَةِ[١]: يُقَالُ عَنِ الشَّيءِ: خَالِصٌ، إِذَا صَفِيَ مِنَ الشَّوَائِبِ الَّتِي يُمكِنُ أَن تَشُوبَهُ، سُمِّيَ خَالِصًا؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - مُمتَنًّا عَلَى عِبَادِهِ -: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [النحل: ٦٦].

فَهَذَا اللَّبَنُ صَافٍ غَيرُ مُختَلِطٍ بِشَيءٍ مِنَ الدَّمِ وَالفَرثِ، فَيَخرُجُ هَذَا اللَّبَنُ الصَّافِي بِقُدرَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَسَمَّاهُ اللَّهُ وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ خَالِصٌ.

وَالإِخلَاصُ شَرعًا: تَصفِيَةُ العَمَلِ مِن كُلِّ شَائِبَةٍ «تَشُوبُهُ مِن شَوَائِبِ إِرَادَاتِ النَّفسِ: إِمَّا طَلَبِ التَّزَيُّنِ فِي قُلُوبِ الخَلقِ، وَإِمَّا طَلَبِ مَدحِهِم، وَالهَرَبِ مِن ذَمِّهِم، أَو

(١) يُنظر: «لسان العرب» (٤/ ١٧٣)، لابن منظور.

طَلَبِ تَعظِيمِهِم، أَو طَلَبِ أموَالِهِم» [١].

وَذَلِكَ بِأَن يَكُونَ الحَامِلُ عَلَى الطَّاعَةِ «وَالدَّاعِي إِلَيهَا: رَغبَةَ العَبْدِ فِي اللَّهِ، وَمَحَبَّتَهُ لَهُ، وَطَلَبَ مَرضَاتِهِ، وَالقُربَ مِنهُ، وَالتَّوَدُّدَ إِلَيهِ، وَامتِثَالَ أَمرِهِ، بِحَيثُ لَا يَكُونُ البَاعِثُ لَهُ عَلَيهَا حَظًّا مِن حُظُوظِ الدُّنيَا أَلبَتَّةَ، بَل يَأتِي بِهَا ابتِغَاءَ وَجهِ رَبِّهِ الأَعلَى، مَحَبَّةً لَهُ وَخَوفًا مِن عَذَابِهِ، وَرَجَاءً لِمَغفِرَتِهِ وَثَوَابِهِ» [٢].

قَالَ بَعضُ السَّلَفِ: «الإِخلَاصُ: استِوَاءُ أَعمَالِ العَبْدِ، فِي الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ» [٣].

وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

إِذَا السِّرُّ وَالإِعلَانُ فِي المُؤمِنِ استَوَى
فَقَد عَزَّ فِي الدَّارَينِ وَاستَوجَبَ الثَّنَا [٤]

---

(١) «تهذيب المدارج» (ص٥١٦).
(٢) «رسالة ابن القيِّم إلى أحد إخوانه» (ص٣٤).
(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٧٠).
(٤) «الإحياء» (٤/ ٣٤٠).

مَجَالَاتُ الإِخلَاصِ

١- الإِخلَاصُ فِي طَلَبِ العِلمِ:

فَابذُل نَفسَكَ فِي الإِخلَاصِ فِي طَلَبِ العِلمِ، وَلِيَكُنِ الطَّلَبُ طَلَبَ دِرَايَةٍ لَا طَلَبَ رِوَايَةٍ. وَاعلَم أَنَّ الخَطَرَ عَظِيمٌ فِي طَلَبِ العِلمِ، فَمَن طَلَبَهُ لِيَصرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيهِ، وَيُجَالِسَ بِهِ الأُمَرَاءَ، وَيُبَاهِيَ بِهِ النُّظَرَاءَ، أَو يَتَصَيَّدَ بِهِ الحُطَامَ: فَتِجَارَتُهُ بَائِرَةٌ، وَصَفقَتُهُ خَاسِرَةٌ.

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ تَعَلَّمَ عِلمًا مِمَّا يُبتَغَىٰ بِهِ وَجهُ اللَّهِ عز وجل، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنيَا، لَم يَجِد عَرفَ الجَنَّةِ يَومَ القِيَامَةِ»** - يَعنِي: رِيحَهَا - [١].

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٦٤)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٤١٢).

«وَسَبَبُ هَذَا - وَاللَّهُ أَعلَمُ -: أَنَّ فِي الدُّنيَا جَنَّةً مُعَجَّلَةً، وَهِيَ مَعرِفَةُ اللَّهِ وَمَحَبَّتُهُ، وَالأُنسُ بِهِ وَالشَّوقُ إِلَى لِقَائِهِ، وَخَشيَتُهُ وَطَاعَتُهُ؛ وَالعِلمُ النَّافِعُ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ: فَمَن دَلَّهُ عِلمُهُ عَلَى دُخُولِ هَذِهِ الجَنَّةِ المُعَجَّلَةِ فِي الدُّنيَا دَخَلَ الجَنَّةَ فِي الآخِرَةِ، وَمَن لَم يَشُمَّ رَائِحَتَهَا لَم يَشُمَّ رَائِحَةَ الجَنَّةِ فِي الآخِرَةِ.

ولِهَذَا كَانَ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا فِي الآخِرَةِ: عَالِمٌ لَم يَنفَعهُ اللَّهُ بِعِلمِهِ، وَهُوَ مِن أَشَدِّ النَّاسِ حَسرَةً يَومَ القِيَامَةِ، حَيثُ كَانَ مَعَه آلَةٌ يَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى أَعلَى الدَّرَجَاتِ وَأَرفَعِ المَقَامَاتِ، فَلَم يَستَعمِلهَا إِلَّا فِي التَّوَصُّلِ إِلَى أَخَسِّ الأُمُورِ وَأَدنَاهَا وَأَحقَرِهَا، فَهُوَ كَمَن كَانَ مَعَهُ جَوَاهِرُ نَفِيسَةٌ لَهَا قِيمَةٌ، فَبَاعَهَا بِبَعرَةٍ أَو شَيءٍ مُستَقذَرٍ لَا يُنتَفَعُ بِهِ»[١].

٢- الإِخلَاصُ فِي تِلَاوَةِ القُرآنِ:

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ، وَسَلُوا اللَّهَ تَبَارَكَ**

(١) شرح حديث: «**مَا ذِئبَانِ جَائِعَانِ**» (ص٣٤).

وَتَعَالَى بِهِ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجِيءَ قَوْمٌ يَسْأَلُونَ النَّاسَ بِهِ»[١].

وَقَد وَقَعَ مَا أَخبَرَ بِهِ الصَّادِقُ المَصدُوقُ ﷺ. فَيَنبَغِي لِلمُسلِمِ أَن يَقرَأَ القُرآنَ لِوَجهِ اللَّهِ، لِيَنَالَ الأُجُورَ العَظِيمَةَ وَالدَّرَجَاتِ العَالِيَةَ.

٣- الإِخلَاصُ فِي التَّوحِيدِ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا، دَخَلَ الجَنَّةَ»**[٢].

فَإِنَّ الإِخلَاصَ يَنفِي أَسبَابَ دُخُولِ النَّارِ؛ فَمَن دَخَلَ النَّارَ مِنَ القَائِلِينَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَم يُحَقِّق إِخلَاصَهَا المُحَرِّمَ لَهُ عَلَى النَّارِ؛ بَل كَانَ فِي قَلبِهِ نَوعٌ مِنَ الشِّركِ الَّذِي أَوقَعَهُ فِيمَا أَدخَلَهُ النَّارَ.

وعَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَا**

(١) رواه أحمد (٤/ ٤٤٥)، والترمذي (٢٩١٧). وصححه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٣٣).

(٢) رواه البزار «كشف الأستار» (٧)، وصححه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (٢٣٥٥).

قَالَ عَبْدٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَطُّ مُخْلِصًا، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، حَتَّى تُفْضِيَ إِلَى العَرْشِ، مَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ»[١].

فَقَد شَرَطَ لِقَبُولِ هَذِهِ الكَلِمَةِ، وَنَفعِهَا عِندَ اللَّهِ: كَونَ القَائِلِ مُخلِصًا وَمُعتَقِدًا لِأُلُوهِيَّةِ رَبِّهِ، وَأَنْ يَجتَنِبَ الكَبَائِرَ كُلَّهَا. فَتَدَبَّرْ وَتَذَكَّرْ وَتَنَبَّهْ. وَفَّقَنِي اللَّهُ تَعَالَى وَإِيَّاكَ لِمَرضَاتِهِ[٢].

وعَن مَعَاذٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَن شَهِدَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُخلِصًا مِن قَلبِهِ، دَخَلَ الجَنَّةَ**»[٣].

قَولُهُ: «**مُخلِصًا**» : أَي سَالِمًا مِن كُلِّ شَوبٍ، فَلَا يَشُوبُهَا رِيَاءٌ وَلَا سُمعَةٌ، بَل هِيَ شَهَادَةُ يَقِينٍ.

قَولُهُ: «**مِن قَلبِهِ**»، لِأَنَّ المَدَارَ عَلَى القَلْبِ، كَمَا قَالَ ﷺ: «... **أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضغَةً إِذَا صَلَحَت**

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٩٠)، وحسنه الألباني ﵀ في «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ٤٧٣).

(٢) «مفتاح الجنة» (ص٣١).

(٣) رواه أحمد (٥/ ٢٣٦) (٢٢١٩٥)، وصححه الألباني ﵀ في «الصَّحيحة» (٢٣٥٥).

صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَت فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ»[١].

وَمَن قَالَ كَلِمَةَ الإِخلَاصِ خَالِصًا مِن قَلبِهِ، فَلَا بُدَّ أَن يَطلُبَ رِضَى هَذَا المَعبُودِ بِاتِّبَاعِ الأَوَامِرِ وَاجتِنَابِ النَّوَاهِي[٢]. لاَ بُدَّ مِن أَعمَالٍ يَتَعَبَّدُ بِهَا الإِنسَانُ لِلَّهِ ﷻ[٣].

وَعَن عِتبَانَ بنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... **فَإِنَّ اللَّهَ قَد حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَن قَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبتَغِي بِذَلِكَ وَجهَ اللَّهِ**»[٤]. وَهَذَا فَضلٌ عَظِيمٌ؛ نَسأَلُ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا: أَن يَجعَلَنَا مِن أَهلِهِ[٥].

وَ«المُرَادُ بِالقَولِ هُنَا: القَولُ الَّذِي مَعَهُ تَمَامُ الشُّرُوطِ؛

---

(١) قطعة من حديث: أخرجه البخاري (٥٢ و٢٠٥١)، ومسلم (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير ﵄.

(٢) «القول المفيد على كتاب التوحيد» (١/ ٣٤٤-٣٤٥)، للعلاَّمة ابن عثيمين ﵀.

(٣) المصدر السابق (٢/ ٢٣٣).

(٤) رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

(٥) «التمهيد لشرح كتاب التوحيد» (ص٢٧)، لصاحب المعالي: العلاَّمة صالح بن عبد العزيز آل الشَّيخ حفظه اللَّه.

كَقَولِ النَّبِيِّ ﷺ: «**الـحَجُّ عَرَفَةُ**»[١]، يَعنِي: إِذَا أَتَى بِبَقِيَّةِ الأَركَانِ وَالوَاجِبَاتِ، فَيَكُونُ مَعنَى قَولِهِ هُنَا: «**مَن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» يَعنِي: بِاجتِمَاعِ شُرُوطِهَا، وَبِالإِتيَانِ بِلَازِمِهَا»[٢].

وَمَن طَلَبَ وَجهًا، فَلَا بُدَّ أَن يَعمَلَ كُلَّ مَا فِي وُسعِهِ لِلوُصُولِ إِلَيهِ، لِأَنَّ مُبتَغِي الشَّيءِ يَسعَى فِي الوُصُولِ إِلَيهِ. فَالحَدِيثُ وَاضِحُ الدِّلَالَةِ عَلَى شَرطِيَّةِ العَمَلِ لِمَن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبتَغِي وَجهَ اللَّهِ.

٤- الإِخلَاصُ فِي النِّيَّةِ:

«يَحصُلُ لِلعَبدِ مِنَ الثَّمَرَاتِ وَالنَّتَائِجِ: بِحَسَبِ نِيَّتِهِ»[٣].

قَالَ ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امرِئٍ مَا نَوَى**»[٤].

---

(١) رواه الترمذي (٨٨٩) من حديث عبد الرحمن بن يعمر رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله في «التعليق على هداية الرواة» (٣/ ١١٤).
(٢) «التمهيد لشرح كتاب التوحيد» (ص٢٧).
(٣) «المجموعة الكاملة» (٥/ ١/ ٥٠٩)، للعلامة السعدي رحمه الله.
(٤) رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

حَقِيقٌ بِالمؤمِنِ الذي يُرِيدُ نَجَاةَ نَفسِهِ وَنَفعَهَا، أن يَفهَمَ مَعنى هَذا الحَدِيثِ، وَأَن يَكُونَ العَمَلُ بِهِ نُصبَ عَينَيهِ في جَمِيعِ أحوَالِهِ وَأوقَاتِهِ[١].

قَولُهُ ﷺ: (**إِنَّمَا الأَعمَالُ بِالنِّيَّاتِ**) أَي: صَلَاحُ الأَعمَالِ وَفَسَادُهَا بِحَسَبِ صَلَاحِ النِّيَّاتِ وَفَسَادِهَا، كَقَولِهِ ﷺ: «**وَإِنَّمَا الأَعمَالُ بِالخَوَاتِيم**»[٢]؛ أَي: إِنَّ صَلَاحَهَا وَفَسَادَهَا، وَقَبُولَهَا وَعَدَمَهُ، بِحَسَبِ الخَاتِمَةِ[٣].

فَليُرَاقِب كُلٌّ نَفسَهُ، هَل أَرَادَ بِحِفظِهِ لِلقُرآنِ، أَو طَلَبِهِ لِلعِلمِ، أَو قِيَامِهِ اللَّيلَ، أَو أَيِّ عَمَلٍ كَانَ، هَل أَرَادَ بِهِ وَجهَ اللَّهِ تَعَالَى؟ أَو أَرَادَ مَدحَ النَّاسِ وَثَنَاءَهُم، وَالنَّجَاةَ مِن ذَمِّهِم؟!

هَل أَرَادَ بِعَمَلِهِ دُخُولَ الجِنَانِ، وَالنَّظَرَ إِلَى وَجهِ رَبِّهِ الرَّحمَنِ، وَالتَّنَعُّمَ بِالحُورِ العِينِ، وَمُجَاوَرَةَ النَّبِيِّينَ

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص٩).
(٢) قطعة من حديث: رواه البخاري (٦٦٠٧)، عن سهل بن سعد رضي الله عنه.
(٣) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٦٥).

وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ؟ أَم أَرَادَ بِعَمَلِهِ مَالًا أَو مَنصِبًا أَو جَاهًا، أَو أَيَّ مَقصَدٍ آخَرَ مِنَ المَقَاصِدِ الدُّنيَوِيَّةِ الدَّنِيئَةِ؟!

فَليُصَحِّح كُلٌّ عَمَلَهُ قَبلَ الشُّرُوعِ فِيهِ، وَلِيَنظُر مَاذَا أَرَادَ بِهِ؟ وَلتَكُن نِيَّتُهُ لِله خَالِصَةً[1].

قَالَ حَافِظٌ الحَكَمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالنِّيَّةَ اجعَل لِوَجهِ اللَّهِ خَالِصَةً
إِنَّ البِنَاءَ بِدُونِ الأَصلِ لَم يَقُمِ[2]

٥- الإخلاص فِي الصَّوم:

عَن أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ صَامَ يَومًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا، كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**»[3].

(١) «الكلمات الحسان فيما يعين على الحفظ» (ص٥٠ - ٥١).
(٢) «المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية» (ص١٤، البيت رقم ٦٨).
(٣) رواه الترمذي (١٦٢٤)، وقال الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٩٩١): «حسن صحيح».

٦- الإخلاص فِي الصَّدَقَةِ:

فِي حَدِيثِ السَّبعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، وَفِيهِم: «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**»[1].

وَعَن مُعَاوِيَةَ بنِ حَيدَةَ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ**»[2].

٧- الإخلاص فِي الحُبِّ:

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَن سَرَّهُ أَن يَجِدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ، فَلْيُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ**»[3].

اعلَم بِأَنَّ التَّحَابَّ فِي اللَّهِ: مِن أَصعَبِ الأُمُورِ وَأَشَدِّهَا، وَوُجُودُهُ فِي الأَشخَاصِ الإِنسَانِيَّةِ: أَعَزُّ مِنَ الكِبرِيتِ الأَحمَرِ. وَهَذِهِ الخَصلَةُ لَا يَقُومُ بِهَا: إِلَّا مَن

(١) رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) رواه الطبراني ١٩/ رقم (١٠١٨)، وحسنه لغيره الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٨٨٨).
(٣) رواه الحاكم (١/ ٣) رقم (٣)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠١٢).

سَبَقَت لَهُ العِنَايَةُ الرَّبَّانِيَّةُ.

وَالـمَحَبَّةُ فِي هَذَا الزَّمَانِ قَائِمَةٌ عَلَى الـمَصَالِحِ الشَّخصِيَّةِ. «وَهَذِهِ هِيَ المَحَبَّةُ الْعَرَضِيَّةُ الَّتِي تَزُولُ بِزَوَالِ مُوجِبِهَا؛ فَإِنَّ مَنْ وَدَّكَ لِأَمْرٍ، وَلَّى عَنْكَ عِنْدَ انْقِضَائِهِ»[1].

وَعَلَى هَذَا تَجْرِي عَامَّةُ مَحَبَّةِ الْخَلْقِ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ، وَهَذَا لَا يُثَابُونَ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يَنْفَعُهُمْ؛ بَلْ رُبَّمَا أَدَّى ذَلِكَ إِلَى النِّفَاقِ وَالـمُدَاهَنَةِ، فَكَانُوا فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْأَخِلَّاءِ الَّذِينَ ﴿**بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ٦٧**﴾ [الزخرف: ٦٧][2].

فَالمُتَّقُونَ هُمُ الَّذِينَ تَدُومُ وَتَتَّصِلُ مَحَبَّتُهُم وَخِلَّتُهُم، بِدَوَامِ مَن كَانَتِ المَحَبَّةُ لِأَجلِهِ، كَمَا قِيلَ:

مَا كَان لِلَّهِ، دَامَ وَاتَّصَلَ؛ وَمَا كَانَ لِغَيرِ اللَّهِ، انقطَعَ وَانفَصَلَ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنَّ رَجُلًا**

(١) » زاد المعاد« (٤/ ٢٧٠ - ٢٧١).

(٢) »مجموع الفتاوى« (١٠/ ٦١٠).

زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَل لَكَ عَلَيهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا! غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عز وجل، **قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ: بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ، كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ**»[1].

(**فَأَرْصَدَ اللَّهُ**) أَي: أَقعَدَهُ بِمِرصَادِهِ يَرقُبُهُ.

(**عَلَى مَدْرَجَتِهِ**) أَي: عَلَى مَوضِعِ مُرُورِهِ، وَهُوَ الطَّرِيقُ؛ سُمِّيَت بِالـمَدرَجَةِ: لِأَنَّ النَّاسَ يَدرُجُونَ عَلَيهَا، أَي: يَمضُونَ وَيَمشُونَ عَلَيهَا، وَيَمُرُّونَ بِهَا.

(**تَرُبُّهَا**) أَي: تُرَاعِيهَا، وَتَقُومُ بِمُجَازَاتِهَا وَشُكرِهَا، بِذَهَابِكَ إِلَيهِ[2].

٨- الإِخلَاصُ فِي الزِّيَارَةِ فِي اللَّهِ:

عَن أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِن عَبدٍ مُسلِمٍ**

(١) رواه مسلم (٢٥٦٧).

(٢) «منة المنعم في شرح صحيح مسلم» (٤/ ١٧٨)، لفضيلة الشيخ صفي الرحمن المباركفوري.

أَتَى أَخًا لَهُ يَزُورُهُ فِي اللَّهِ، إِلَّا نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَن طِبتَ وَطَابَت لَكَ الجَنَّةُ، وَإِلَّا قَالَ اللَّهُ فِي مَلَكُوتِ عَرشِهِ: [عَبدِي] زَارَ فِيَّ، وَعَلَيَّ قِرَاهُ، فَلَم أَرضَ لَهُ بِقِرًى دُونَ الجَنَّةِ»[1].

فَمَن زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ ابتِغَاءَ وَجهِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ فِي مَلَكُوتِ عَرشِهِ - وَكَلَامُهُ البَلِيغُ الوَجِيزُ - : «**عَبدِي زَارَ فِيَّ ، وَعَلَيَّ قِرَاهُ، فَلَم أَرضَ لَهُ بِقِرًى دُونَ الجَنَّةِ**».

فَانظُر يَا أَخِي - وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ - إِلَى عَظِيمِ فَضلِ اللَّهِ ﷻ، وَتَأَمَّل هَذِهِ الأَلفَاظَ: «**عَبدِي زَارَ فِيَّ ، وَعَلَيَّ قِرَاهُ**» .

وَأَيُّ ضِيَافَةٍ أَجَلُّ، وَأَكبَرُ، وَأَعظَمُ، مِن هَذِهِ الضِيَافَةِ؟! فَللهِ تِلكَ الضِّيَافَةُ، مَا أَجَلَّهَا وَأَجمَلَهَا! وَأَدوَمَهَا وَأَكمَلَهَا!

٩- الإِخلَاصُ فِي إِطعَامِ الطَّعَامِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّ نَفَرٍ مِنَ المُخلِصِينَ:

(١) رواه البزَّار «البحر الزخَّار» (٦٤٦٦)، وأبو يعلى (٤١٤٠) - واللفظ له -. وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٧٩): «حسن صحيح».

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإنسان: ٨ - ٩].

فَوَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى «بِالإِخلَاصِ، وَأَنَّهُم إِنَّمَا قَصَدُوا بِإِطعَامِ الطَّعَامِ وَجهَهُ، وَلَم يُرِيدُوا مِنَ المُطعَمِينَ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا»[1].

ولِهَذَا كَانَ المُحَقِّقُونَ لِلإِخلَاصِ، لَا يَطلُبُونَ مِنَ المُحْسَنِ إِلَيهِ: لَا دُعَاءً وَلَا ثَنَاءً وَلَا غَيرَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الدُّعَاءَ نَوعٌ مِنَ الجَزَاءِ وَالإِحسَانِ؛ كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ: «... **وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ**[2]، **فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ؛ فَادْعُوا لَهُ، حَتَّى تَرَوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**»[3].

وأَيضًا كَانُوا إِذَا كَافَأَهُمُ المُعطِي بِدُعَاءٍ وَغَيرِهِ،

(١) «بدائع الفوائد» (٢/ ٥٢٢).

(٢) وأما الإساءَةُ لصانعي المعروف في هذا الزمان: فإنها من أخلاق اللئام لا الكرام. نسأل اللَّه حسن الختام.

(٣) قطعة من حديث: رواه أبو داود (١٦٧٢) عن عبد اللَّه بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٨٥٢).

قَابَلُوهُ بِمِثلِ ذَلِكَ، لِيَبقَى أَجرُهُم عَلَى اللَّهِ تَعَالَى[١].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَت: أُهدِيَت لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَاةٌ، فَقَالَ: «**اقسِمِيهَا**»، قَالَ: وَكَانَت عَائِشَةُ إِذَا رَجَعَتِ الخَادِمُ، قَالَت: مَا قَالُوا لَكَ؟ تَقُولُ مَا يَقُولُونَ، يَقُولُ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُم، فَتَقُولُ عَائِشَةُ: وَفِيهِم بَارَكَ اللَّهُ، تَرُدُّ عَلَيهِم مِثلَ مَا قَالُوا، وَيَبقَى أَجرُنَا لَنَا[٢].

إِنَّ مِن تَمَامِ إِخْلَاصِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّها لَم تَكُن تَنتَظِرُ شَيئًا، حَتَّى الدُّعَاءَ.

١٠- الإخلَاصُ فِي الدُّعَاءِ لِلمَيِّتِ:

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى المَيِّتِ، فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ**»[٣].

---

(١) «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٥٢٧ - ٥٢٩).

(٢) رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٠٣) بسند جيد، وأورده الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الكلم الطيب» (رقم: ١٨٥- ٢٣٩).

(٣) رواه أبو داود (٣١٩٩)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٢٩٩).

١١- الإخلَاصُ فِي أُمُورٍ أَربَعَةٍ:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وأَبغَضَ لِلَّهِ، وأَعْطَى لِلَّهِ، ومَنَعَ لِلَّهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ**»[١].

«وَالدِّينُ كُلُّهُ يَدُورُ عَلَى أَربَعِ قَوَاعِدَ: حُبٌّ وَبُغضٌ، وَيَتَرَتَّبُ عَلَيهِمَا فِعلٌ وَتَركٌ، فَمَنْ كَانَ حُبُّهُ وَبُغضُهُ وَفِعلُهُ وَتَركُهُ لِلَّهِ، فَقَدِ استَكمَلَ الإِيمَانَ، بِحَيثُ إِذَا أَحَبَّ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَإِذَا أَبغَضَ أَبغَضَ لِلَّهِ، وَإِذَا فَعَلَ فَعَلَ لِلَّهِ، وَإِذَا تَرَكَ تَرَكَ لِلَّهِ، وَمَا نَقَصَ مِن أَصنَافِ هَذِهِ الأَربَعَةِ، نَقَصَ مِنْ إِيمَانِهِ وَدِينِهِ بِحَسَبِهِ»[٢].

١٢- الإخلَاصُ فِي كَظمِ الغَيظِ:

عَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا مِنْ جُرعَةٍ أَعظَمَ أَجرًا عِندَ اللَّهِ، مِنْ جُرعَةِ غَيظٍ، كَظَمَهَا**

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٨١)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ١٤١).

(٢) «الروح» (ص ٣٤٢).

عَبدٌ ابتِغَاءَ وَجهِ اللَّهِ ﷻ»[١].

١٣- الإخلَاصُ فِي بِنَاءِ المَسَاجِدِ:

وَعَنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ بَنَىٰ مَسجِدًا يَبتَغِي بِهِ وَجهَ اللَّهِ، بَنَىٰ اللَّهُ لَهُ مِثلَهُ فِي الجَنَّةِ»**[٢].

قَالَ ابنُ رَجَبٍ رحمه الله: «فَالإِخلَاصُ شَرطٌ لِحُصُولِ الثَّوَابِ فِي جَمِيعِ الأَعمَالِ، فَإِنَّمَا الأَعمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِامرِئٍ مَا نَوَى، وَبِنَاءُ المَسَاجِدِ مِن جُملَةِ الأَعمَالِ، فَإِن كَانَ البَاعِثُ عَلَى عَمَلِهِ ابتِغَاءَ وَجهِ اللَّهِ حَصَلَ لَهُ هَذَا الأَجرُ، وَإِن كَانَ البَاعِثُ عَلَيهِ الرِّيَاءَ وَالسُّمعَةَ أَوِ المُبَاهَاةَ، فَصَاحِبُهُ مُتَعَرِّضٌ لِمَقتِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ، كَسَائِرِ مَن عَمِلَ شَيئًا مِن أَعمَالِ البِرِّ يُرِيدُ بِهِ الدُّنيَا، كَمَن صَلَّى يُرَائِي أَو حَجَّ يُرَائِي أَو تَصَدَّقَ يُرَائِي»[٣].

---

(١) رواه ابن ماجه (٤١٨٩)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٣٩٦) [طبعة مكتبة المعارف].

(٢) رواه البخاري (٤٣٩)، ومسلم (٥٣٣).

(٣) «فتح الباري» (٣/ ٣٢٢ - ٣٢٣)، لابن رجب الحنبلي رحمه الله.

١٤- الإخلَاصُ فِي تَركِ المَعصِيَةِ لِلَّهِ:

فَــإِذَا نَـزَعـتَ عَـنِ الـغِـوَايَـةِ فَلـيَكُـن
لِـلَّــهِ ذَاكَ الـنَّـزعُ لَا لِـلـنَّـاسِ[١]

عَن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«خَرَجَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ المَطَرُ، فَدَخَلُوا [فِي غَارٍ] فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَيهِم صَخْرَةٌ، قَالَ: فقَالَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ... وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِن بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فَقَالَتْ: لَا تَنَالُ ذَلِكَ مِنهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِئَةَ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعتُهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالَتْ: اتَّقِ اللَّهِ وَلَا تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وتَرَكْتُهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافرُجْ عَنَّا فُرْجَةً، قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمُ الثُّلُثَيْنِ»**[٢].

«فهَذَا الرَّجُلُ دَعَا امرَأَةً يُحِبُّهَا حُبًّا جَمًّا لِيُجَامِعَهَا

---

(١) «ديوان الحسن بن هانئ» (ص٥١١).

(٢) رواه البخاري(٢٢١٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

بِالزِّنَا - وَالعِيَاذُ بِاللَّهِ - فِي مَكَانٍ خَالٍ لَا يَطَّلِعُ عَلَيهِمَا أَحَدٌ، وَهُوَ فِيهِ شَهوَةٌ، وَيُحِبُّ المَرأَةَ، لَكِن لَمَّا قَالَتْ لَهُ: اتَّقِ اللَّهِ، قَامَ عَنهَا.

فَانظُرْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ! المُقتَضِي مَوجُودٌ! لِأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى الجِمَاعِ، وَالمَرأَةُ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيهِ، وَالمَكَانُ خَالٍ؛ لَكِن مَنَعَهُ مَانِعٌ، أَقوَى مِنْ هَذَا المُقتَضِي: وَهُوَ خَوفُ اللَّهِ»[١].

«فَفِي هَذَا الحَدِيثِ مِنَ الفَوَائِدِ وَالعِبَرِ: فَضِيلَةُ العِفَّةِ عَنِ الزِّنَا، وَأَنَّ الإِنسَانَ إِذَا عَفَّ عَنِ الزِّنَا - مَعَ قُدرَتِهِ عَلَيهِ -، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَفضَلِ الأَعمَالِ. وَقَد ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ هَذَا مِنَ السَّبعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَومَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: «**وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ**»[٢].

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٤٦٣ - ٤٦٤) بتصرُّف، للعلَّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) رواه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ.

فَهَذَا الرَّجُلُ مَكَّنَتهُ هَذِهِ المَرأَةُ الَّتِي يُحِبُّهَا مِنْ نَفسِهَا، فَقَامَ [عَنهَا] خَوفًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَحَصَلَ عِندَهُ كَمَالُ العِفَّةِ، فَيُرجَى أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَومَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»[١].

وَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ قَالَ:

لَا خَيرَ فِيمَنْ لَا يُرَاقِبُ رَبَّهُ
عِنْدَ الهَوَى وَيَخَافُهُ إِيمَانَا

حَجَبَ التُّقَى سُبُلَ الهَوَى فَأَخُو التُّقَى
يَخْشَى إِذَا وَافَى المَعَادَ هَوَانَا[٢]

١٥- الإِخلَاصُ فِي الأُضحِيَةِ:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قَالَ: ذَبَحَ النَّبِيُّ ﷺ يَومَ الذَّبحِ كَبْشَيْنِ[٣] أَقْرَنَيْنِ[٤] ....

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٨٢ - ٨٣).

(٢) «روضة المحبين» (ص٣٣٨). ولهذين البيتين: قصة ومناسبة، ساقها ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) كَبْشَيْنِ: مثنى كبش، وهو ذكَر الغنم.

(٤) أَقْرَنَيْنِ: ذَوَي قُرون.

أَمْلَحَيْنِ[١] مُوجَأَيْنِ[٢]، فَلَمَّا وَجَّهَهُمَا قَالَ: «**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ، وَأَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ؛ اللَّهُمَّ مِنْكَ وَلَكَ، [وَ] عَنْ مُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ، بِاسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ**» ثُمَّ ذَبَحَ[٣].

١٦- الإِخْلَاصُ فِي الحَجِّ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: حَجَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رَحْلٍ رَثٍّ، وَقَطِيفَةٍ تُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ، أَوْ لَا تُسَاوِي، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ حِجَّةٌ، لَا رِيَاءَ فِيهَا وَلَا سُمْعَةَ**»[٤].

١٧- الإِخْلَاصُ فِي الصَّبرِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ

(١) أَمْلَحَيْنِ: تثنية أَملَح، وهو الَّذِي فيه سواد وبياض.

(٢) مُوجَأَيْنِ: أي خَصِيَّيْنِ.

(٣) رواه أبو داود (٢٧٩٥)، وحسَّن إسناده الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٨/ ١٤٢) [الكتاب الأم، طبع غراس].

(٤) رواه ابن ماجه (٢٨٩٠)، وصححه لغيره الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (١١٢٢).

ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد: ٢٢].

فَإِنَّ هَذَا هُوَ الصَّبرُ النَّافِعُ، الَّذِي يَحبِسُ بِهِ العَبدُ نَفسَهُ، وَطَلَبًا لِمَرضَاةِ رَبِّهِ، وَرَجَاءً لِلقُربِ مِنهُ، وَالحَظوَةِ بِثَوَابِهِ[١].

* * *

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٥٧١).



قَوادِحُ الإِخلَاصِ وعِلَاجُهَا

قَبلَ البَدءِ بِذِكرِ قَوَادِحِ الإِخلَاصِ، يَنبَغِي أَن يُعلَمَ بِأَنَّهُ يُوجَدُ فِي النُّفُوسِ أَغرَاضٌ تَمنَعُ الأَعمَالَ أَن تَكُونَ لِلَّهِ خَالِصَةً، وَأَن تَصِلَ إِلَيهِ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَعمَلُ العَمَلَ حَيثُ لَا يَرَاهُ بَشَرٌ أَلبَتَّةَ، وَهُوَ غَيرُ خَالِصٍ لِلَّهِ، وَيَعمَلُ العَمَلَ وَالعُيُونُ قَدِ استَدَارَت عَلَيهِ نِطَاقًا، وَهُوَ خَالِصٌ لِوَجهِ اللَّهِ، وَلَا يُمَيِّزُ هَذَا إِلَّا أَهلُ البَصَائِرِ وَأَطِبَّاءُ القُلُوبِ، العَالِمُونَ بِأَدوَائِهَا وَعِلَلِهَا.

فَلَا يَتعَبُ المُخلِصُ، فقَد أُقِيمَ عَلَى الصِّرَاطِ المُستَقِيمِ، فَيُسَارُ بِهِ وَهُوَ رَاقِدٌ، وَلَا يَتعَبُ مَنْ حُرِمَ الإِخلَاصَ، فَقَد قُطِعَت عَلَيهِ الطَّرِيقُ، وَاستَهوَتهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرضِ حيرَانَ، فَإِن شَاءَ فَليَعمَل، وَإِن شَاءَ فَليَترُك، فَلَا يَزِيدُهُ عَمَلُهُ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعدًا.

فَإِنَّ طَرِيقَ الإِخلَاصِ تَأخُذُ عُلُوًّا، صَاعِدَةً بِصَاحِبِهَا إِلَـى العَلِيِّ الكَبِيرِ؛ وَطَرِيقُ الرِّيَاءِ تَأخُذُ سُفْلًا، هَاوِيَةً بِسَالِكِهَا فِي أَسفَلِ سَافِلِينَ.

فَمِن قَوَادِحِ الإِخلَاصِ:

١- العُجبُ بِالنَّفسِ:

العُجبُ بِالعَمَلِ مِن بَابِ الإِشـرَاكِ بِالنَّفسِ، وَهُوَ مُحبِطٌ لِلعَمَلِ.

قَالَ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلَم أَنَّ الإِخلَاصَ قَد يَعرِضُ لَهُ آفَةُ العُجبِ، فَمَن أُعجِبَ بِعَمَلِه حَبِط عَمَلُهُ»[١].

عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**المُهلِكَاتُ ثَلَاثٌ: إِعجَابُ المَرءِ بِنَفسِهِ، وَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ**»[٢].

فَيَرَى نَفسَهُ أَنَّهُ قَد أَدَّى عِبَادَاتٍ، وَأَنَّهُ قَد وَصَلَ إِلَى

(١) «شرح الأربعين النووية» (ص١٠)، للنووي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) رواه البزَّار «البحر الزخَّار» (٣٣٦٦)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ بمجموع طرقه في «الصحيحة» (١٨٠٢).

مَرَاتِبَ بِينَهُ وَبينَ نَفسِهِ؛ وَالَّذِي يُخَلِّصُهُ مِن رُؤيَةِ عَمَلِهِ عِدَّةُ أُمُورٍ، مِنهَا:

مُشَاهَدَتُهُ لِمِنَّةِ اللَّهِ عَلَيهِ، وَفَضلِهِ وَتَوفِيقِهِ لَهُ، وَأَنَّهُ بِاللَّهِ لَا بِنَفسِهِ.

وَأَنَّهُ إِن وَكَلَهُ إِلَى نَفسِهِ هَلَكَ، فَمَا هَلَكَ مَن هَلَكَ إِلَّا حَيثُ وُكِلَ إِلَى نَفسِهِ.

وَأَنَّهُ لَو خُلِّيَ وَنَفسَهُ لَم يَكُن مِن فِعلِهِ الصَّالِحِ شَيءٌ أَلبَتَّةَ، فَإِنَّ النَّفسَ جَاهِلَةٌ ظَالِمَةٌ؛ طَبعُهَا الكَسَلُ، وَإِيثَارُ الشَّهَوَاتِ، وَالبَطَالَةُ، وَهِيَ مَنبَعُ كُلِّ شَرٍّ، وَمَأوَى كُلِّ سُوءٍ؛ ومَا كَانَ هَكَذَا: لَم يَصدُر مِنهُ خَيرٌ، وَلَا هُوَ مِن شَأنِهِ.

فَالخَيرُ الَّذِي يَصدُرُ مِنهَا: إِنَّمَا هُوَ مِنَ اللَّهِ، وَبِهِ، لَا مِنَ العَبْدِ، وَلَا بِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور: ٢١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾**﴾

[الحجرات: ٧] ؛ فَهَذَا الحُبُّ وَهَذِهِ الكَرَاهَةُ لَم يَكُونَا فِي النَّفسِ وَلَا بِهَا، وَلِكن هُوَ اللَّهُ الَّذِي مَنَّ بِهِمَا، فَجَعَلَ العَبْدَ بِسَبَبِهِمَا مِنَ الرَّاشِدِينَ ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾ [الحجرات: ٨]، فَهُوَ سُبحَانَهُ عَلِيمٌ بِمَن يَصلُحُ لِهَذَا الفَضلِ وَمَن لَا يَصلُحُ لَهُ، حَكِيمٌ يَضَعُهُ فِي مَوَاضِعِهِ وَعِندَ أَهلِهِ، لَا يَمنَعُهُ أَهلَهُ، وَلَا يَضَعُهُ عِندَ غَيرِ أَهلِهِ.

أَخِي المُسلِمَ: إِذَا قُمتَ بِطَاعَةٍ مِنَ الطَّاعَاتِ، فَاذكُر مِنَّةَ اللَّهِ عَلَيكَ فِي هَذِهِ الطَّاعَةِ، بِأَن يَسَّرَهَا حَتَّى عَمِلتَهَا؛ ثُمَّ مَعَ جَلَالَتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَاستِغنَائِهِ عَنكَ وَعَن طَاعَتِكَ، وَكَثرَةِ نِعَمِهِ عَلَيكَ: أَعَدَّ لَكَ عَلَى هَذَا العَمَلِ اليَسِيرِ، الثَّنَاءَ الجَزِيلَ وَالثَّوَابَ العَظِيمَ، مَا لَا تَستَحِقُّهُ، ثُمَّ شَكَرَكَ عَلَى ذَلِكَ وَأَثنَى عَلَيكَ، هَذِهِ كُلُّهَا بِفَضلِهِ العَظِيمِ لَا غَيرِ. فَاذكُر مِنَّةَ رَبِّكَ الكَرِيمِ الرَّحِيمِ سُبحَانَهُ، فِيمَا أَحسَنَ إِلَيكَ فِي هَذِهِ الطَّاعَةِ، وَاستَحيِ مِن أَن تَلتَفِتَ إِلَى عَمَلِكَ، بَلِ الفَضلُ وَالمِنَّةُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَينَا بِكُلِّ حَالٍ، فَلَا يَكُونُ لَكَ شُغلٌ بَعدَ حُصُولِ هَذِهِ الطَّاعَةِ، إِلَّا التَّضَرُّعَ وَالابتِهَالَ إِلَى اللَّهِ سُبحَانَهُ بِأَن يَتَقَبَّلَهَا. أَمَا تَسمَعُ قَولَ خَلِيلِهِ إِبرَاهِيمَ

عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لَمَّا فَرَغَ مِن خِدمَتِهِ فِي بِنَاءِ بَيتِهِ: كَيفَ ابتَهَلَ إِلَيهِ فِي أَن يَتَفضَّلَ عَلَيهِ بِالقَبُولِ؟! فَقَالَ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾ [البقرة: ١٢٧].

فَلَئِن مَنَّ عَلَيكَ بِقَبُولِ هَذِهِ البِضَاعَةِ المُزجَاةِ، فَلَقَد أَكمَلَ المِنَّةَ وَأَعظَمَ النِّعمَةَ، وَإِن تَكُنِ الأُخرَى فَيَا لَهَا مِن خُسرَانٍ وَحِرمَانٍ، فَاهتَمَّ وَاشتَغِلْ بِهَذَا الشَّأنِ، فَإِذَا وَاظَبتَ عَلَى مِثلِ هَذَا، وَكَرَّرتَهُ عَلَى قَلبِكَ عِندَ الفَرَاغِ مِنَ طَاعَتِكَ، وَاستَعَنتَ بِاللَّهِ ﷻ، صَرَفَكَ عَنِ الالتِفَاتِ إِلَى الخَلقِ وَالنَّفسِ، وَشَغَلَكَ عَن مُرَاءَاةٍ وَإِعجَابٍ، وَبَعَثَكَ عَلَى مَحضِ الإِخلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى فِي الطَّاعَاتِ، وَالتَّمَسُّكِ بِذِكرِ مِنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيكَ فِي جَمِيعِ الحَالَاتِ، وَيَحصُلُ لَكَ أَرجَى طَاعَاتٍ طَاهِرَةٍ لَا عَيبَ فِيهَا، وَخَيرَاتٍ خَالِصَةٍ لَا شَوبَ فِيهَا، وَعِبَادَاتٍ مَقبُولَةٍ لَا نَقصَ فِيهَا، بَل مِثلُ هَذِهِ الطَّاعَةِ، وَإِن حَصَلَت فِي العُمُرِ مَثَلًا مَرَّةً وَاحِدَةً لَا غَيرَ، فَإِنَّهَا بِالحَقِيقَةِ لَكَبِيرَةٌ.

وَإِنَّهَا - وَإِن قَلَّ عَدَدُهَا - لَقَد كَثُرَ مَعنَاهَا وَعَظُمَ قَدرُهَا، وَكَثُرَ نَفعُهَا وَطَابَ عُقبَاهَا، وَإِنَّ التَّوفِيقَ لِمِثلِهَا

عَزِيزٌ، وَالفَضلَ بِهِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى العَبْدِ لَكَبِيرٌ. فَأَيُّ سَعيٍ أَكرَمُ مِن سَعيٍ يَشكُرُهُ وَيُثنِي عَلَيهِ رَبُّ العَالَمِينَ، وَأَيُّ بِضَاعَةٍ أَعَزُّ مِن بِضَاعَةٍ اختَارَهَا وَرَضِيَهَا رَبُّ العَالَمِينَ؟!

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنفَعُ العَمَلِ أَن تَغِيبَ فِيهِ عَنِ النَّاسِ بِالإِخلَاصِ، وَعَن نَفسِكَ بِشُهُودِ المِنَّةِ؛ فَلَا تَرَى فِيهِ نَفسَكَ، وَلَا تَرَى الخَلقَ»[١].

٢- الرِّيَاءُ:

مِن أَقدَحِ القَوَادِحِ فِي الإِخلَاصِ: الرِّيَاءُ.

«الرِّيَاءُ خُلُقٌ رَذِيلٌ سَاقِطٌ دَنِيءٌ جِدًّا، مِن أَخلَاقِ المُنَافِقِينَ الأَرذَلِينَ، المُنقَطِعِينَ عَن رَبِّ العَالَمِينَ؛ الَّذِينَ هُم فِي الدَّركِ الأَسفَلِ مِنَ النَّارِ، كَمَا كَانُوا فِي الدَّركِ الأَسفَلِ مِنَ الأَخلَاقِ»[٢].

الرِّيَاءُ مُحبِطٌ لِلأَعمَالِ، مُنَافٍ لِلإِخْلَاصِ، مُبطِلٌ

(١) «الفوائد» (ص١٠٥).

(٢) «المجموعة الكاملة» (٥/ ١/ ٤٨١) بتصرُّف يسير، للعلَّامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

لِلثَّوَابِ، مُوجِبٌ لِلمَقتِ مِنَ الكَبِيرِ المُتَعَالِ، وَهُوَ مِن كَبَائِرِ الذُّنُوبِ المُهلِكَةِ الَّتِي تَسرِي فِي عَمَلِ الإِنسَانِ، سَرَيَانَ الآكِلَةِ فِي الجَسَدِ، دُونَ أَن يَشعُرَ بِهَا وَيَحتَاطَ لَهَا.

خَطَرُهُ عَظِيمٌ، وَشَرُّهُ مُستَطِيرٌ؛ يُطفِئُ نُورَ العِبَادَةِ، كَمَا يُطفِئُ المَاءُ النَّارَ.

وَكَم عَمَلٍ جَمِيلٍ مُستَطَابٍ
يُضَيِّعُ أَجرَ صَاحِبِهِ الرِّيَاءُ

وَأَسبَابُهُ ثَلَاثَةٌ:

الأَوَّلُ: حُبُّ لَذَّةِ الحَمدِ، فَيَعمَلُ العَمَلَ لِأَجلِ أَن يَمدَحَهُ النَّاسُ.

الثَّانِي: الفِرَارُ مِنَ الذَّمِّ. يُحسِنُ الصَّلَاةَ حَتَّى لَا يُقَالَ عَنهُ: فُلَانٌ يُسرِعُ فِي صَلَاتِهِ مَثَلًا، فَيَنجُو مِن ذَمِّ النَّاسِ.

الثَّالِثُ: الطَّمَعُ فِيمَا أَيدِي النَّاسِ.

وَيَشهَدُ لِهَذَا: مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الأَشعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ:

الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»[١].

فَمَعنَى قَولِ السَّائِلِ: «يُقَاتِلُ شَجَاعَةً»، أَي: لِيُذكَرَ وَيُحمَدَ.

وَمَعنَى قَولِهِ: «يُقَاتِلُ حَمِيَّةً»، أَي: يَأنَفُ عَنِ القَهرِ، وَيَفِرُّ مِنَ الذَّمِّ.

ومَعنَى قَولِهِ: «يُقَاتِلُ رِيَاءً»، أَي: لِيُرَى مَكَانُهُ.

لَقَد وَضَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطُورَةَ الرِّيَاءِ فِي مَقَامَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَبِعِبَارَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ:

أ- الرِّيَاءُ أَخطَرُ عَلَى المُسلِمِينَ مِن فِتنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ:

عَن أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ عَلَينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَنَحنُ نَتَذَاكَرُ المَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «**أَلَا أُخبِرُكُم بِمَا هُوَ أَخوَفُ عَلَيكُم عِندِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ؟**» قَالَ: قُلنَا: بَلَى، فَقَالَ: «**الشِّركُ الخَفِيُّ: أَن يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ**

(١) رواه البخاري (٧٤٥٨)، ومسلم (١٩٠٤).

صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِن نَظَرِ رَجُلٍ»[١][١].

وَهَذَا الحَدِيثُ فِيهِ: أَنَّ الرِّيَاءَ شِركٌ خَفِيٌّ، وَوَجهُ كَونِهِ خَفِيًّا: أَنَّهُ فِي النِّيَّاتِ وَالمَقَاصِدِ وَأَعمَالِ القُلُوبِ، وَهَذِهِ لَا يَعلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ سبحانه وتعالى، لَا أَحَدَ يَعلَمُ النِّيَّاتِ، وَيَعلَمُ المَقَاصِدَ، إِلَّا اللَّهُ سبحانه وتعالى.

وَفِي الحَدِيثِ: دَلِيلٌ عَلَى خُطُورَتِهِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَافَهُ عَلَى أَفضَلِ هَذِهِ الأُمَّةِ وَهُمُ الصَّحَابَةُ، فَكَيفَ بِغَيرِهِم؟! وَأَنَّهُ ﷺ يَخَافُهُ عَلَيهِم أَشَدَّ مِمَّا يَخَافُ عَلَيهِم مِن فِتنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، لِأَنَّهُ قَلَّ مَن يَسلَمُ مِنهُ.

أَمَّا المَسِيحُ الدَّجَّالُ مَعَ عِظَمِ فِتنَتِهِ - وَقَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُم مِن فِتنَتِهِ -: فَإِنَّمَا ضَرَرُهُ عَلَى الَّذِينَ يُعَاصِرُونَهُ وَيَخرُجُ وَهُم أَحيَاءٌ، أَمَّا الرِّيَاءُ: فَهَذَا خَطَرُهُ عَلَى الجَمِيعِ فِي كُلِّ عَصرٍ، فِي كُلِّ وَقتٍ[٢].

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٠٤)، وحسّنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٤٠٨).

(٢) «إعانة المستفيد» (٢/ ٩٦).

وَأَيضًا فَإِنَّ «أَمرَ المَسِيحِ أَمرٌ ظَاهِرٌ بَيِّنٌ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيَّنَ مَا فِي شَأنِهِ، وَبَيَّنَ صِفَتَهُ، وَحَذَّرَ الأُمَّةَ مِنهُ، وَأَمَرَهُم بِأَن يَدعُوا آخِرَ كُلِّ صَلَاةٍ، وَأَن يَستَعِيذُوا مِن فِتنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ؛ أَمَّا الرِّيَاءُ: فَإِنَّهُ يَعرِضُ لِلقَلبِ كَثِيرًا، وَالشَّيطَانُ يَأتِي إِلَى القُلُوبِ. وَهَذَا الشِّركُ يَقُودُ العَبدَ إِلَى أَن يَتَخَلَّى شَيئًا فَشَيئًا عَن مُرَاقَبَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَيَتَّجِهَ إِلَى مُرَاقَبَةِ المَخلُوقِينَ؛ لِذَلِكَ صَارَ أَخوَفَ عِندَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَينَا مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ»[1].

ب- الرِّيَاءُ هُوَ الشِّركُ الخَفِيُّ:

عَن مَحمُودِ بنِ لَبِيدٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَخوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيكُمُ الشِّركُ الأَصغَرُ**». قَالُوا: وَمَا الشِّركُ الأَصغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ عز وجل لَهُم يَومَ القِيَامَةِ، إِذَا جَزَى النَّاسَ بِأَعمَالِهِم: اذهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنتُم تُرَاؤُونَ فِي الدُّنيَا، فَانظُرُوا هَل تَجِدُونَ عِندَهُم جَزَاءً؟!**»[2].

(١) «التمهيد لشرح كتاب التوحيد» (ص٤٠١ - ٤٠٢).

(٢) رواه أحمد (٥/ ٤٢٨)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢).

وَالرِّيَاءُ مَعناهُ: أَنَّ الإِنسَانَ يَتَصَنَّعُ أَمَامَ النَّاسِ بِالتَّقوَى، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَإِتقَانِ الصَّلَاةِ، وَغَيرِ ذَلِكَ، مِن أَجلِ أَن يَمدَحُوهُ؛ فَالرِّيَاءُ مِنَ الرُّؤيَةِ: أَن يُحِبَّ الإِنسَانُ أَن يَرَاهُ النَّاسُ، وَهُوَ يَعمَلُ العَمَلَ الصَّالِحَ، مِن أَجلِ أَن يَمدَحُوهُ[1].

وَالفَرقُ بَينَ الرِّيَاءِ وَالسُّمعَةِ: أَنَّ الرِّيَاءَ فِيمَا يُرَى مِنَ الأَعمَالِ الَّتِي ظَاهِرُهَا لِلَّهِ، وَبَاطِنُهَا لِغَيرِهِ كَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ. أَمَّا السُّمعَةُ: فَهِيَ لِمَا يُسمَعُ مِنَ الأَقوَالِ الَّتِي ظَاهِرُهَا لِلَّهِ، وَالقَصدُ مِنهَا لِغَيرِ اللَّهِ، كَالقِرَاءَةِ وَالذِّكرِ وَالوَعظِ، وَغَيرِ ذَلِكَ مِنَ الأَقوَالِ؛ وَقَصدُ المُتَكَلِّمِ أَن يَسمَعَ النَّاسُ كَلَامَهُ فَيُثنُوا عَلَيهِ، وَيَقُولُوا: هُوَ جَيِّدٌ فِي الكَلَامِ، جَيِّدٌ فِي المُحَاوَرَةِ، جَيِّدٌ فِي الخُطبَةِ، إِنَّهُ حَسَنُ الصَّوتِ فِي القُرآنِ، إِذَا كَانَ يُحَسِّنُ صَوتَهُ بِالقُرآنِ، لِأَجلِ ذَلِكَ؛ فَإِذَا كَانَ يُلقِي المُحَاضَرَاتِ وَالنَّدَوَاتِ وَالدُّرُوسَ، مِن أَجلِ أَن يَمدَحَهُ النَّاسُ، فَهَذَا سُمعَةٌ[2].

(١) «إعانة المستفيد» (١/ ٩٦).

(٢) «إعانة المستفيد» (٢/ ٩٠).

وَالرِّيَاءُ شِركٌ خَفِيٌّ، لِأَنَّ الشِّركَ عَلَى نَوعَينِ: شِركٍ ظَاهِرٍ وَشِركٍ خَفِيٍّ، الشِّركُ الظَّاهِرُ: الَّذِي يَتَمَثَّلُ فِي الأَعمَالِ وَالأَقوَالِ، بِأَن يَدعُوَ غَيرَ اللَّهِ، أَو يَذبَحَ لِغَيرِ اللَّهِ، أَو يَستَغِيثَ بِغَيرِ اللَّهِ، هَذَا ظَاهِرٌ يَرَاهُ النَّاسُ وَيَسمَعُونَهُ؛ لَكِن هُنَاكَ شِركٌ خَفِيٌّ لَا يَدرِي عَنهُ النَّاسُ، لِأَنَّهُ فِي القَلْبِ، لَا يَعلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ سبحانه وتعالى، وَهُوَ الشِّركُ فِي النِّيَّةِ وَالإِرَادَةِ؛ فَالإِنسَانُ إِذَا سَلِمَ مِنَ الشِّركِ الأَكبَرِ، فَإِنَّهُ قَد لَا يَسلَمُ مِنَ الشِّركِ الأَصغَرِ الَّذِي يَكُونُ فِي القُلُوبِ، وَهَذَا مِمَّا يُعطِي المُؤمِنَ الحَذَرَ الشَّدِيدَ[1].

فَهَذَا الحَدِيثُ: فِيهِ الخَوفُ مِنَ الشِّركِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَافَهُ عَلَى سَادَاتِ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ، وَعَلَى أَفضَلِ هَذِهِ الأُمَّةِ: مَعَ كَمَالِ عِلمِهِم، وَقُوَّةِ إِيمَانِهِم، وَغَايَةِ عَمَلِهِم، وَصِحَّةِ نِيَّتِهِم؛ فَكَيفَ لَا يَخَافُهُ مَن هُوَ دُونَهُم فِي العِلمِ وَالإِيمَانِ، وَالعَمَلِ، وَالنِّيَّةِ بِمَرَاتِبَ؟![2]

---

(١) «إعانة المستفيد» (١/ ٩٧).

(٢) «الدين الخالص» (١/ ٤١٩).

ج- الرِّيَاءُ أَشَدُّ فَتكًا مِنَ الذِّئبِ فِي الغَنَمِ:

عَن كَعبِ بنِ مَالِكٍ الأَنصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا ذِئبَانِ جَائِعَانِ أُرسِلَا فِي غَنَمٍ، بِأَفسَدَ لَهَا مِن حِرصِ المَرءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ، لِدِينِهِ**»[1].

فَهَذَا مَثَلٌ عَظِيمٌ جِدًّا، ضَرَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِفَسَادِ دِينِ المُسلِمِ بِالحِرصِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ فِي الدُّنيَا، [وَهُمَا اللَّذَانِ يُحَرِّكَانِ الرِّيَاءَ فِي النَّفسِ]؛ وَأَنَّ فَسَادَ الدِّينِ بِذَلِكَ، لَيسَ بِدُونِ فَسَادِ الغَنَمِ بِذِئبَينِ جَائِعَينِ ضَارِيَينِ بَاتَا فِي الغَنَمِ، وَقَد غَابَ عَنهَا رِعَاؤُهَا لَيلًا، فَهُمَا يَأكُلَانِ فِي الغَنَمِ وَيَفتَرِسَانِ فِيهَا. مَاذَا يَبقَى مِنَ الغَنَمِ؟

وَمَعلُومٌ أَنَّهُ لَا يَنجُو مِنَ الغَنَمِ مِن إِفسَادِ الذِّئبَينِ المَذكُورَينِ - وَالحَالَةُ هَذِهِ - إِلَّا قَلِيلٌ، فَأَخبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ حِرصَ المَرءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ: إِفسَادٌ لِدِينِهِ لَيسَ بِأَقَلَّ مِن إِفسَادِ الذِّئبَينِ لِهَذِهِ الغَنَمِ، بَل إِمَّا أَن يَكُونَ مُسَاوِيًا وَإِمَّا

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٧٦)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٧١٠).

أَكثَرَ؛ يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ لَا يَسلَمُ مِن دِينِ المُسلِمِ، مَعَ حِرصِهِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ فِي الدُّنيَا، إِلَّا القَلِيلُ، كَمَا أَنَّهُ لَا يَسلَمُ مِنَ الغَنَمِ، مَعَ إِفسَادِ الذِّئبَينِ المَذكُورَينِ فِيهَا، إِلَّا القَلِيلُ.

فَهَذَا المَثَلُ العَظِيمُ: يَتَضَمَّنُ غَايَةَ التَّحذِيرِ، مِن شَرِّ الحِرصِ عَلَى المَالِ، وَالشَّرَفِ فِي الدُّنيَا.

وَلِهَذَا يَجِبُ أَن تَكُونَ نِيَّتُكَ بَعِيدَةً عَن هَذَا، بَعِيدَةً عَنِ المَالِ، وَبَعِيدَةً عَنِ الشَّرَفِ؛ نَسأَلُ اللَّهَ أَن يُعِينَنَا عَلَى ذَلِكَ.

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَيسَ هَمَّهُ إِلَّا أَن يُحَصِّلَ المَالَ، أَو يُحَصِّلَ الشَّرَفَ، وَيَكُونَ مِمَّن يُشَارُ إِلَيهِ بِالأَصَابِعِ، وَهَذَا يُفسِدُ الدِّينَ، لِأَنَّ النَّفسَ تَمِيلُ إِلَى المَالِ، وَتَمِيلُ إِلَى الشَّرَفِ، وَتَنسَى مَا هُوَ أَهَمُّ وَهُوَ مَسأَلَةُ الدِّينِ.

«فَليَتَفَقَّدِ العَبدُ مَحَلَّ النِّيَّةِ وَالإِخلَاصِ مِنْ قَلْبِهِ: فِي أَعمَالِهِ وَسِعَايَاتِهِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، وَيَحفَظ نِيَّتَهُ مِنَ الرِّيَاءِ، فَلَا يَلْحَظ بِأَعمَالِهِ أَحَدًا مِنَ الخَلقِ، وَيَحفَظ قَلبَهُ مِنَ العُجبِ مَعَ الإِخلَاصِ، فَقَد يُعجَبُ العَبدُ بِإِخلَاصِهِ وَلَا يَشعُرُ»[1].

(١) «مدخل أهل الفقه واللسان» (ص٦٥)، لابن شيخ =

كَيفِيَّةُ تَحصِيلِ الإِخلَاصِ؟

الإِخلَاصُ - عِبَادَ اللَّهِ - أُمنِيَةٌ عَزِيزَةٌ، وَخَصلَةٌ حَمِيدَةٌ، وَمَعَ وُضُوحِهِ وَجِلَائِهِ، إِلَّا إِنَّهُ مِن أَشَقِّ الأُمُورِ عَلَى النَّفسِ، لِأَنَّهُ يَحُولُ بَينَهَا وَبَينَ تَطَلُّعَاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا؛ فَتَحقِيقُهُ وَالِاستِمرَارُ فِيهِ، عَمَلِيَّةٌ شَاقَّةٌ بِمَجهُودٍ كَبِيرٍ، وَيَقَظَةٍ تَامَّةٍ. وَلِهَذَا كَانَ تَحصِيلُ الإِخلَاصِ صَعبًا، وَلَيسَ سَهلًا.

فَأَصعَبُ شَيءٍ عَلَى النَّفسِ المُطمَئِنَّةِ: تَخلِيصُ الأَعمَالِ لِلَّهِ؛ مِنَ الكِبرِ وَالإِعجَابِ، وَرُؤيَةِ العَمَلِ، وَنِسيَانِ مِنَّةِ اللَّهِ عَلَيهِ. «فَمَن وَصَلَ لَهُ عَمَلٌ وَاحِدٌ عَلَى هَذَا الوَجهِ: وَصَلَ إِلَى اللَّهِ. وَاللَّهُ تَعَالَى شَكُورٌ، إِذَا رَضِيَ مِنَ العَبْدِ عَمَلًا مِن أَعمَالِهِ نَجَّاهُ، وَأَسعَدَهُ بِهِ، وَثَمَّرَهُ لَهُ، وَبَارَكَ لَهُ فِيهِ، وَأَوصَلَهُ بِهِ إِلَيهِ، وَأَدخَلَهُ بِهِ عَلَيهِ، وَلَم يَقطَعهُ بِهِ

= الحزَّاميِّينَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

عَنهُ»[١]. وَلَكِنْ أَبَى الشَّيطَانُ: أَنْ يَدَعَ لِلعَبدِ عَمَلًا وَاحِدًا، يَصِلُ إِلَى اللَّهِ.

وَتَخلِيصُ الأَعمَالِ - مِنَ الشَّيطَانِ - لِلَّهِ، لَا يُوَفَّقُ إِلَيهِ «إِلَّا مَن أَمَدَّهُ اللَّهُ بِأَمدَادِ التَّوفِيقِ، وَأَيَّدَهُ بِرَحمَتِهِ، وَتَوَلَّى حِفظَهُ وَحِمَايَتَهُ، وَفَتَحَ بَصِيرَةَ قَلبِهِ»[٢].

يَتَبَيَّنُ لَنَا مِن خِلَالِ هَذَا الكَلَامِ: أَنَّ حَملَ الإِخلَاصِ كَحَملِ الجِبَالِ الرَّوَاسِي، لَا يُطِيقُهُ إِلَّا أَصحَابُ العَزَائِمِ، فَهُم يَتَقَلَّبُونَ تَحتَهُ تَقَلُّبَ الحَامِلِ بِحَملِهِ الثَّقِيلِ؛ وَالرِّيَاءُ خَفِيفٌ كَالرِّيشَةِ، لَا يَجِدُ لَهُ صَاحِبُهُ ثِقْلًا أَلبَتَّةَ، فَهُوَ حَامِلٌ لَهُ فِي أَيِّ مَوضِعٍ اتَّفَقَ، بِلَا تَعَبٍ وَلَا مَشَقَّةٍ وَلَا كِلفَةٍ، فَهُوَ يَتَقَلَّبُ تَحتَ حَملِهِ وَلَا يَجِدُ ثِقلَهُ.

وَمِن هَاهُنَا يُفَارِقُ المُخلِصُ أَكثَرَ السَّالِكِينَ، بَل يَستَوحِشُ فِي طَرِيقِهِ، وَذَلِكَ لِقِلَّةِ سَالِكِيهَا، وَهُوَ فِي وَادٍ، وَالنَّاسُ فِي وَادٍ.

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٣١١).
(٢) «الروح» (ص٣٢١).

السَّالِكُونَ دَربَ الإِخلَاصِ أَفرَادٌ مِنَ العَالَمِ، وَأَكثَرُ السَّالِكِينَ فِي غَفلَةٍ عَنهُ.

الإِخلَاصُ «غَدِيرٌ فِي صَحرَاءَ، لَيسَت عَلَيهِ جَادَّةٌ؛ فَلِهَذَا قَلَّ وَارِدُهُ»[١].

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فَمَتَى أَخلَصَ أَعمَالَهُ، وَلَم يَعمَل لِأَحَدٍ شَيئًا، تَجَنَّبَهُم وَتَجَنَّبُوهُ، وَأَبغَضَهُم وَأَبغَضُوهُ، وَعَادَاهُم وَعَادَوهُ، وَسَارَ عَلَى جَادَّةٍ، وَهُم عَلَى جَادَّةٍ»[٢].

فَعَقَبَةُ الإِخلَاصِ عَقَبَةٌ كَؤُودٌ، وَلَكِن بِهَا يُنَالُ المَطلُوبُ وَالمَقصُودُ. نَفعُهَا كَثِيرٌ، وَقَطعُهَا شَدِيدٌ، وَخَطَرُهَا عَظِيمٌ.

وَلَكِن مَا هِيَ طُرُقُ تَحصِيلِ الإِخلَاصِ؟

١- الزُّهدُ فِي مَدحِ النَّاسِ وَذَمِّهِم:

كُن زَاهِدًا فِي ثَنَاءِ النَّاسِ وَمَدحِهِم، وَلَا يَفُوتُكَ ثَنَاءُ

(١) «فوائد الفوائد» (ص٤٣٦).
(٢) «الروح» (ص٣٠٦).

مَن ثَنَاؤُهُ كُلُّ فَخرٍ، وَعَطَاءُ مَن عَطَاؤُهُ كُلُّ ذُخرٍ.

يَقُولُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا يَجتَمِعُ الإِخلَاصُ فِي القَلْبِ وَمَحَبَّةُ المَدحِ وَالثَّنَاءِ، وَالطَّمَعُ فِيمَا عِندَ النَّاسِ، إِلَّا كَمَا يَجتَمِعُ المَاءُ وَالنَّارُ، وَالضَّبُّ وَالحُوتُ؛ فَإِذَا حَدَّثَتْكَ نَفسُكَ بِطَلَبِ الإِخلَاصِ، فَأَقبِل عَلَى الطَّمَعِ أَوَّلًا، فَاذبَحهُ بِسِكِّينِ اليَأسِ، وَأَقبِل عَلَى المَدحِ وَالثَّنَاءِ، فَازهَد فِيهِمَا زُهدَ عُشَّاقِ الدُّنيَا فِي الآخِرَةِ؛ فَإِذَا استَقَامَ لَكَ ذَبحُ الطَّمَعِ، وَالزُّهدُ فِي الثَّنَاءِ وَالمَدحِ، سَهُلَ عَلَيكَ الإِخلَاصُ.

فَإِن قُلتَ: وَمَا الَّذِي يُسَهِّلُ عَلَيَّ ذَبحَ الطَّمَعِ، وَالزُّهدَ فِي الثَّنَاءِ وَالمَدحِ؟ قُلتُ: أَمَّا ذَبحُ الطَّمَعِ؛ فَيُسَهِّلُهُ عَلَيكَ عِلمُكَ يَقِينًا: أَنَّهُ لَيسَ مِن شَيءٍ يُطمَعُ فِيهِ، إِلَّا وَبِيَدِ اللَّهِ وَحدَهُ خَزَائِنُهُ، لَا يَملِكُهَا غَيرُهُ، وَلَا يُؤتِي العَبْدَ مِنهَا شَيئًا سِوَاهُ»(١).

«قَولُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: ٢١]: مُتَضَمِّنٌ لِكَنزٍ مِنَ الكُنُوزِ؛ وَهُوَ أَنَّ كُلَّ شَيءٍ

(١) «فوائد الفوائد» (ص٤٢١).

لَا يُطلَبُ إِلَّا مِمَّن عِندَهُ خَزَائِنُهُ، وَمَفَاتِيحُ تِلكَ الخَزَائِنِ بِيَدَيهِ؛ وَأَنَّ طَلَبَهُ مِن غَيرِهِ، طَلَبٌ مِمَّن لَيسَ عِندَهُ، وَلَا يَقدِرُ عَلَيهِ»(١).

«وَأَمَّا الزُّهدُ فِي الثَّنَاءِ وَالمَدحِ: فَيُسَهِّلُهُ عَلَيكَ عِلمُكَ: أَنَّهُ لَيسَ أَحَدٌ يَنفَعُ مَدحُهُ وَيَزِينُ، وَيَضُرُّ ذَمُّهُ وَيَشِينُ، إِلَّا اللَّهُ وَحدَهُ»(٢).

عَنِ البَرَاءِ بنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ حَمدِي زَينٌ، وَإِنَّ ذَمِّي شَينٌ (أَي: أَنَا إِذَا مَدَحتُ أَحَدًا زَانَ مِن مَدحِي وَارتَفَعَ، وَإِذَا ذَمَمتُ وَاحِدًا عِيبَ وَانخَفَضَ)؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ذَاكَ اللَّهُ** عَزَّ وَجَلَّ»(٣).

«فَازهَد فِي مَدحِ مَن لَا يَزِينُكَ مَدحُهُ، وَفِي ذَمِّ مَن لَا يَشِينُكَ ذَمُّهُ، وَارغَبْ فِي مَدحِ مَنْ كُلُّ الزَّينِ فِي مَدحِهِ، وَكُلُّ الشَّينِ فِي ذَمِّهِ، وَلَن يُقدَرَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِالصَّبرِ

(١) «فوائد الفوائد» (ص٢٣).
(٢) «فوائد الفوائد» (ص٤٢١).
(٣) رواه الترمذي (٣٢٦٧)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ٣٣٣).

وَاليَقِينِ، فَمَتَى فَقَدتَ الصَّبرَ وَاليَقِينَ، كُنتَ كَمَن أَرَادَ السَّفَرَ فِي البَحرِ فِي غَيرِ مَرْكَبٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾ [الروم: ٦٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤﴾ [السجدة: ٢٤]»[١].

٢- الدُّعَاءُ:

عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «... **وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الفَقرِ وَالكُفرِ، وَالفُسُوقِ وَالشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ، وَالسُّمعَةِ وَالرِّيَاءِ** ...»[٢].

وعَن أَبِي مُوسَى الأَشعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَومٍ، فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّركَ، فَإِنَّهُ أَخفَى مِن دَبِيبِ النَّملِ**» فَقَالَ لَهُ مَن شَاءَ اللَّهُ أَن يَقُولَ: وَكَيفَ نَتَّقِيهِ، وَهُوَ أَخفَى مِن دَبِيبِ النَّملِ، يا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِن أَن نُشرِكَ بِكَ شَيئًا**

(١) «فوائد الفوائد» (ص٤٢٢).

(٢) قطعة من حديث: رواه الحاكم (١/ ٥٣٠ رقم ١٩٤٤)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (١٢٨٥).

نَعلَمُهُ، وَنَستَغفِرُكَ لِمَا لَا نَعلَمُ»[١].

وَالشِّركُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ أَخفَى مِن دَبِيبِ النَّملِ، لَا يَكَادُ أَحَدٌ أَن يَسلَمَ مِنهُ، وَقَد يَتَطَرَّقُ فِي أَفعَالِ القُلُوبِ، وَالجَوَارِحِ، وَالأَعمَال، وَالنِّيَّاتِ؛ بِحَيثُ لَا يَشعُرُ بِهِ، وَلَا يَدرِي، وَهَذَا مَقَامٌ يَنبَغِي لِلمُؤمِنِينَ التَّدَبُّرُ فِيهِ.

٣- مُصَاحَبَةُ أَهلِ الإِخلَاصِ، وَالانتِفَاعُ بِإِخلَاصِهِم:

مَنْ أَرَادَ تَحقِيقَ الإِخلَاصِ «فَعَلَيهِ بِمُرَافَقَةِ الأَموَاتِ الَّذِينَ هُم فِي العَالَمِ أَحيَاءٌ، فَإِنَّهُ يَبلُغُ بِمُرَافَقَتِهِم إِلَى مَقصَدِهِ، وَليَحذَر مِن مُرَافَقَةِ الأَحيَاءِ الَّذِينَ فِي النَّاسِ أَموَاتٌ، فَإِنَّهُم يَقطَعُونَ عَلَيهِ طَرِيقَهُ؛ فَلَيسَ لِهَذَا السَّالِكِ أَنفَعُ مِن تِلكَ المُرَافَقَةِ، وَأَوفَقُ لَهُ مِن هَذِهِ المُفَارَقَةِ؛ فَقَد قَالَ بَعضُ السَّلَفِ: شَتَّانَ بَينَ أَقوَامٍ مَوتَى تَحيَى القُلُوبُ بِذِكرِهِم، وَبَينَ أَقوَامٍ أَحيَاءٍ تَمُوتُ القُلُوبُ بِمُخَالَطَتِهِم»[٢].

(١) رواه أحمد (٤/ ٤٠٣) (١٩٦٦١)، وحسنه لغيره الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦).

(٢) «الرسالة التبوكية» (ص٢٢٦-٢٢٧)، لابن القيِّم رحمه الله.

٤- أَكثِر مِنَ الأَعمَالِ الخَفِيَّةِ:

لَم يزَلِ الصَّالِحُونَ يَجتَهِدُونَ فِي إخفَاءِ طَاعَتِهِم أَعظَمَ مِمَّا يَحرِصُ النَّاسُ عَلَى إخفَاءِ سَيِّئَاتِهِم، كُلُّ ذَلِكَ رَجَاءَ أَن تَخْلُصَ أَعمَالُهُمُ الصَّالِحَةُ لِلَّهِ، فَيَتَقَبَّلَهَا مِنهُم، وَيَجزِيَهُم عَلَيهَا أَحسَنَ الجَزَاءِ.

عَنِ الزُّبَيرِ بنِ العَوَّامِ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنِ استَطَاعَ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَبِيءٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ، فَلْيَفْعَل**»[1].

لَطَالَمَا عَصَينَا اللَّهَ كَثِيرًا فِي السِّرِّ، فَهَلَّا أَكْثَرْنَا مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ بَينَنَا وَبينَ اللَّهِ؟!

وَلْنَذْكُرْ عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ - لَا الحَصْرِ - الأَعمَالَ التَّالِيَةَ:

٥- البُكَاءُ مِن خَشيَةِ اللهِ:

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَومَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**» - وَذَكَرَ مِنْ

(١) أخرجه الخطيب في «التاريخ» (١١/ ٢٦٢)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٣/ ٧٨) رقم (٨٨٤). وصححه الألباني ﵀ في «الصحيحة» (٢٣١٣).

بَينِهِم -: «**وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَينَاهُ**»[1].

٦- الدُّعَاءُ بظَهرِ الغَيبِ:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﵁: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**دَعْوَةُ المَرْءِ المُسْلِمِ لِأَخِيهِ - بِظَهرِ الغَيبِ - مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ؛ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيرٍ، قَالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ**»[2].

قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ ﵀: «وَدُعَاءُ الغَائِبِ لِلْغَائِبِ، أَعْظَمُ إِجَابَةً مِنْ دُعَاءِ الحَاضِرِ؛ لِأَنَّهُ أَكْمَلُ إِخلَاصًا، وَأَبْعَدُ عَنِ الشِّرْكِ»[3].

هَذِهِ صُورَةٌ مُشرِقَةٌ؛ وَأَمَّا الصُّورَةُ المُظلِمَةُ: فَهِيَ ذِكرُ العَيبِ، بِظَهرِ الغَيبِ. نَسأَلُ اللَّهَ العَافِيَةَ.

٧- الإِكثَارُ مِنَ النَّوَافِلِ فِي البَيتِ:

عَنْ صُهَيبٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**صَلَاةُ**

(١) رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

(٢) رواه مسلم (٢٧٣٢).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١/ ٣٢٨).

الرَّجُلِ تَطَوُّعًا حَيثُ لَا يَرَاهُ النَّاسُ، تَعْدِلُ صَلَاتَهُ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ خَمسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»[1].

٨- حُبُّ المَسَاكِينِ:

«المَسَاكِينُ لَيسَ عِندَهُم مِنَ الدُّنيَا مَا يُوجِبُ مَحَبَّتَهُم لِأَجلِهِ، فَلَا يُحِبُّونَ إِلَّا اللَّهَ ﷻ، وَالحُبُّ فِي اللَّهِ مِن أَوثَقِ عُرَى الإِيمَانِ، وَمِن عَلَامَاتِ ذَوقِ حَلَاوَةِ الإِيمَانِ، وَهُوَ صَرِيحُ الإِيمَانِ»[2].

«وَحُبُّ المَسَاكِينِ: قَد وَصَّى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ غَيرَ وَاحِدٍ مِن أَصحَابِهِ»[3].

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: «**أَمَرَنِي خَلِيلِي ﷺ بِسَبْعٍ: أَمَرَنِي بِحُبِّ المَسَاكِينِ وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ...**»[4].

---

(١) رواه أبو يعلى في «الكبير»، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٣٨٢١).

(٢) «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى» (ص٧٥).

(٣) المصدر السابق.

(٤) رواه أحمد (٥/ ١٥٩)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٨١١).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسأَلُ رَبَّهُ حُبَّ المَسَاكِينِ، كَمَا فِي قَولِهِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ المَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةَ قَوْمٍ، فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ. أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ. إِنَّهَا حَقٌّ، فَادْرُسُوهَا، ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا**»[1].

«وَحُبُّ المَسَاكِينِ مُستَلزِمٌ لِإِخلَاصِ العَمَلِ لِلَّهِ تَعَالَى. وَالإِخلَاصُ هُوَ أَسَاسُ الأَعمَالِ الَّذِي لَا تَثبُتُ الأَعمَالُ إِلَّا عَلَيهِ، فَإِنَّ حُبَّ المَسَاكِينِ يَقتَضِي إِسدَاءَ النَّفعِ إِلَيهِم بِمَا يُمكِنُ مِن مَنَافِعِ الدِّينِ وَالدُّنيَا، فَإِذَا حَصَلَ إِسدَاءُ النَّفعِ إِلَيهِم حُبًّا لَهُم، وَالإِحسَانُ إِلَيهِم، كَانَ هَذَا العَمَلُ خَالِصًا»[2].

٩- المُحَافَظَةُ عَلَى صَلَاتَيِ الفَجرِ وَالعِشَاءِ:

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَيْسَ**

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٣٥)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ٣١٩).

(٢) «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى» (ص٧٦).

صَلَاةٌ أَثْقَلَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْفَجْرِ وَالْعِشَاءِ»[١].

وعَـنْ أُبَـيِّ بْـنِ كَـعْـبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَـالَ: صَـلَّـى بِـنَـا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا الصُّبْحَ، فَقَالَ: «**أَشَاهِدٌ فُلَانٌ؟**»، قَالُوا: لَا، قَالَ: «**أَشَاهِدٌ فُلَانٌ؟**»، قَالُوا: لَا، قَالَ: «**إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ أَثْقَلُ الصَّلَوَاتِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا، لَأَتَيْتُمُوهُمَا وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الرُّكَبِ...**»[٢].

«وَإِنَّمَا ثَقُلَت هَاتَانِ الصَّلَاتَانِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ: صَلَاةُ العِشَاءِ وَصَلَاة الفَجرِ، لِأَنَّ المُنَافِقَ لَا يَنشَطُ لِلصَّلَاةِ إِلَّا إِذَا رَآهُ النَّاسُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء:١٤٢]. وَصَلَاةُ العِشَاءِ وَالصُّبحِ يَقَعَانِ فِي ظُلمَةٍ، فَلَا يَنشَطُ لِلمَشيِ إِلَيهِمَا إِلَّا كُلُّ مُخلِصٍ، يَكتَفِي بِرُؤيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحدَهُ لِعِلمِهِ بِهِ»[٣].

---

(١) رواه البخاري (٦٥٧).

(٢) رواه أبو داود (٥٥٤)، وحسنه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤١١).

(٣) «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى» (ص٣٦).



ثَمَرَاتُ الإِخلَاصِ

الإِخـلَاصُ شَـجَـرَةٌ فِي القَـلْـبِ؛ فُرُوعُـهَا الأَعـمَـالُ، وَثَمَرُهَا طِيبُ الحَيَاةِ فِي الدُّنيَا، وَالنَّعِيمُ المُقِيمُ فِي الآخِرَةِ.

وَكَمَا أَنَّ ثِمَارَ الجَنَّةِ لَا مَقطُوعَةٌ وَلَا مَمنُوعَةٌ، فَثَمَرَةُ الإِخلَاصِ فِي الدُّنيَا كَذَلِكَ.

وَالإِخـلَاصُ لَهُ ثَـمَـرَاتٌ طَيِّبَةٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا، يَجنِيهَا المُخلِصُونَ.

١- الفَوزُ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الآخِرَةِ:

كُلَّمَا كَانَ العَبْدُ أَكثَرَ إِخلَاصًا، كَانَ أَكثَرَ تَأَهُّلًا لِلظَّفَرِ بِشَفَاعَتِهِ ﷺ يومَ القِيَامَةِ، يَدُلُّ لِذَلِكَ قَولُهُ ﷺ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ** - أَوْ: **نَفْسِهِ** -»[١].

---

(١) رواه البخاري (٩٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢- الرِّفعَةُ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ:

وَعَن سَعدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... **إِنَّكَ لَن تُخَلَّفَ، فَتَعمَلَ عَمَلًا تَبتَغِي بِهِ وَجهَ اللَّهِ، إِلَّا ازدَدتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفعَةً**»[1].

فَمَن أَخلَصَ لِلَّهِ عَمَلَهُ، زَكَّى اللَّهُ عَمَلَهُ، وَبَلَّغَهُ مِنَ الثَّوَابِ أَمَلَهُ، وَزَادَهُ خَيرًا وَدَرَجَةً وَرِفعَةً.

٣- العَمَلُ عَلَى المَقصَدِ الأَعلَى وَالمَطلَبِ الأَسنَى:

ومِن ثَمَرَاتِ الإِخلَاصِ: أَنَّ «المُخلِصَ لِلَّهِ قَد عَلَّقَ قَلبَهُ بِأَكمَلِ مَا تَعَلَّقَت بِهِ القُلُوبُ مِن رِضوَانِ رَبِّهِ، وَطَلَبِ ثَوَابِهِ، وَعَمِلَ عَلَى هَذَا المَقصَدِ الأَعلَى، فَهَانَت عَلَيهِ المَشَقَّاتُ، وَسَهُلَت عَلَيهِ النَّفَقَاتُ، وَسَمُحَت نَفسُهُ بِأَدَاءِ الحُقُوقِ كَامِلَةً مُوَفَّرَةً، وَعَلِمَ أَنَّهُ تَعَوَّضَ عَمَّا فَقَدَهُ أَفضَلَ الأَعوَاضِ، وَأَجزَلَ الثَّوَابِ، وَخَيرَ الغَنَائِمِ»[2].

---

(١) رواه البخاري (٣٩٣٦)، ومسلم (١٦٢٨).

(٢) «فتح الرحيم الملك العلاَّم» (ص٩٩ - ١٠٠).

٤- المَنعُ مِن قَصدِ مُرَاءَاةِ النَّاسِ وَطَلَبِ مَحمَدَتِهِم:

وَمِن ثَمَرَاتِ الإِخلَاصِ: أَنَّهُ يَمنَعُ مَنعًا بَاتًّا مِن قَصدِ مُرَاءَاةِ النَّاسِ، وَطَلَبِ مَحمَدَتِهِم، وَالهَرَبِ مِن ذَمِّهِم، وَالعَمَلِ لِأَجلِهِم، وَالوُقُوفِ عِندَ رِضَاهُم وَسَخَطِهِم، وَالتَّقَيُّدِ بِإِرَادَتِهِم وَمُرَادِهِم، وَهَذَا هُوَ الحُرِّيَّةُ الصَّحِيحَةُ: أَن لَا يَكُونَ القَلْبُ مُتَقَيِّدًا، مُتَعَلِّقًا بِأَحَدٍ مِنَ الخَلقِ.

٥- عَدَمُ انتِظَارِ الجَزَاءِ وَالثَّنَاءِ مِنَ النَّاسِ:

ومِن ثَمَرَاتِ الإِخلَاصِ الطَّيِّبَةِ: أَنَّ المُخلِصَ إِذَا عَمِلَ مَعَ النَّاسِ إِحسَانًا قَولِيًّا، أَو فِعلِيًّا، أَو مَالِيًّا أَو غَيرَهُ، لَم يُبَالِ بِجَزَائِهِم وَلَا شُكرِهِم، لِأَنَّهُ عَامَلَ اللَّهَ تَعَالَى، وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجرَ مَن أَحسَنَ عَمَلًا، وَلَا يُثنِي عَزمَهُ وَنَشَاطَهُ قِلَّةُ شُكرِهِم لَهُ، فَقَد قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ المُخلِصِينَ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان: ٩]؛ «فَجَعَلَ غَايَةَ أَعمَالِ الأَبرَارِ، وَالمُقَرَّبِينَ، وَالمُحِبِّينَ: إِرَادَةَ وَجهِهِ»[1]. أَي: يَقْصِدُونَ بِأَعمَالِهِم وَجْهَ اللَّهِ ﷻ،

---

(١) «تهذيب المدارج» (ص٨١٩).

بِدُخُولِهِمُ الجَنَّةَ وَرُؤيَتِهِ فِيهَا.

٦- رِضَى اللهِ تَعَالَى:

مَنْ عَمِلَ لِوَجهِ اللَّهِ الكَرِيم، نَالَ الرِّضَىٰ مِنْهُ جَلَّ وَعَلَا، قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ [الليل: ١٩ - ٢١].

فَهُوَ «إِذَا أَحسَنَ إِلَىٰ النَّاسِ، فَإِنَّمَا يُحسِنُ إِلَيهِمْ ابتِغَاءَ وَجهِ رَبِّهِ الأَعلَىٰ؛ وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَد مَنَّ عَلَيهِ بِأَنْ جَعَلَهُ مُحسِنًا، فَيَرَىٰ أَنَّ عَمَلَهُ لِلَّهِ وَبِاللَّهِ؛ فَلَا يَطلُبُ مِمَّنْ أَحسَنَ إِلَيهِ جَزَاءً، وَلَا شُكُورًا، وَلَا يَمُنُّ عَلَيهِ بِذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ قَد عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ المَانُّ عَلَيهِ، إِذِ استَعمَلَهُ فِي الإِحسَانِ، فَعَلَيهِ: أَن يَشكُرَ اللَّهَ إِذ يَسَّرَهُ لِليُسرَىٰ، وَعَلَىٰ ذَلِكَ الشَّخصِ: أَن يَشكُرَ اللَّهَ، إِذ يَسَّرَ لَهُ مَا يَنفَعُهُ»[1]. فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَلَسَوفَ يَرضَىٰ عَنْهُ رَبُّ العَالَمِينَ بِمَا يُعطِيهِ «مِنَ الكَرَامَةِ وَالجَزَاءِ العَظِيمِ، وَهُوَ وَعدٌ مِنَ الكَرِيمِ تَعَالَىٰ، عَلَىٰ أَكمَلِ الوُجُوهِ وَأَجَلِّهَا»[2].

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٢٢١) و(١٤/ ٣٢٩ - ٣٣٠).

(٢) «فتح البيان» (١٥/ ٢٧٢).

وَكَمَا أَنَّ هَذِهِ الغَايَةَ أَعلَىٰ الغَايَاتِ، وَهَذَا المَطلُوبُ أَشرَفُ المَطَالِبِ. وَالإِخلَاصُ أَقصَدُ الطُّرُقِ إِلَيهِ، وَأَقرَبُهَا وَأَقوَمُهَا. وَبِاللَّهِ التَّوفِيقُ.

٧- النَّجَاةُ مِنَ الفِتَنِ:

قَالَ تَعَالَى عَن يُوسُفَ ﷺ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٢٤﴾ [يوسف: ٢٤]؛ فَالسُّوءُ: العِشقُ، وَالفَحشَاءُ: الزِّنَا.

«وَمَن أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيرًا، صَرَفَ عَنهُ الأَمرَينِ، الَّذَينِ هُمَا مَجمُوعُ الفِتَنِ»[1].

«فَلَمَّا أَخلَصَ [يُوسُفُ عَلَيهِ السَّلَامُ] لِرَبِّهِ، صَرَفَ عَنهُ دَوَاعِيَ السُّوءِ وَالفَحشَاءِ،... فَالإِخلَاصُ هُوَ سَبِيلُ الخَلَاصِ»[2].

فَالمُخلِصُ «يَصرِفُ اللَّهُ عَنهُ: مِنَ السُّوءِ وَالفَحشَاءِ، مَا لَا يَصرِفُهُ عَن غَيرِهِ»[3].

---

(١) «مجموع الفوائد» (ص٢٥٦).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٧٧).

(٣) «فتح الرحيم الملك العلاّم» (ص١٠٠).

وَكُلَّمَا كَانَ أَعظَمَ إِخلاصًا، كَانَ مِنهَا أَبعَدَ[1].

فَإِنَّ القَلْبَ إِذَا خَلُصَ وَأَخلَصَ عَمَلَهُ لِلَّهِ، لَم يَتَمَكَّن مِنهُ عِشقُ الصُّوَرِ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَتَمَكَّنُ مِن قَلبٍ فَارِغٍ؛ كَمَا قِيلَ:

أَتَانِي هَوَاهَا قَبلَ أَنْ أَعرِفَ الهَوَى
فَصَادَفَ قَلبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا[2]

فَمَنِ ابتُلِيَ بِمُشَاهَدَةِ الأَفلَامِ الخَلِيعَةِ، وَالدُّخُولِ عَلَى المَوَاقِعِ الإِبَاحِيَّةِ؛ إِنَّمَا هُوَ مِن جَهلِهِ وَغَفلَةِ قَلبِهِ عَنِ اللَّهِ، فَعَلَيهِ أَن يَرجِعَ بِقَلبِهِ إِلَى اللَّهِ، «وَلَيسَ لَهُ دَوَاءٌ أَنفَعُ مِنَ الإِخلَاصِ لِلَّهِ، وَهُوَ الدَّوَاءُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، حَيثُ قَالَ: ﴿**كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ** ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤]»[3].

فَجَازَاهُ عَلَى إِخْلَاصِهِ: بِصَرْفِ السُّوءِ وَالفَحشَاءِ عَنْهُ[4].

---

(١) «موارد الأمان» (ص١٢٩).
(٢) «الداء والدواء» (ص٣٢٥).
(٣) المصدر السابق (ص٣٢٤).
(٤) «شفاء العليل» (٢/ ٤٦٦).

«فَمَنْ أخلَصَ لِلَّهِ: أَخلَصَهُ وَخَلَّصَهُ مِنَ الشُّرُورِ، وَعَصَمَهُ مِنَ السُّوءِ وَالفَحشَاءِ»[1].

٨- المَوْتُ عَلَى عَمَلٍ صَالِحٍ:

عَن حُذَيفَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَسندتُ النَّبِيَّ ﷺ إِلَىٰ صَدْرِي، فَقَالَ: «**مَن قَالَ: لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ، ابتِغَاءَ وَجهِ اللَّهِ، خُتِمَ لَهُ بِهَا، دَخَلَ الجَنَّةَ؛ وَمَن صَامَ يَومًا ابتِغَاءَ وَجهِ اللَّهِ، خُتِمَ لَهُ بِهَا، دَخَلَ الجَنَّةَ؛ وَمَن تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابتِغَاءَ وَجهِ اللَّهِ، خُتِمَ لَهُ بِهَا، دَخَلَ الجَنَّةَ**»[2].

قَولُهُ: «**ابتِغَاءَ وَجهِ اللَّهِ**» أَي: تَقصِدُ بِهِ وَجهَ اللَّهِ عز وجل، بِدُخُولِكَ الجَنَّةَ وَرُؤيَتِهِ فِيهَا.

لِأَنَّ أَهلَ الجَنَّةِ - جَعَلَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُم مِنهُم - يَرَونَ اللَّهَ تَعَالَى، وَيَنظُرُونَ إِلَيهِ عِيَانًا، كَمَا يَرَونَ الشَّمسَ صَحوًا لَيسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَونَ القَمَرَ لَيلَةَ البَدرِ،

---

(١) «المجموعة الكاملة» (٥/ ١/ ١٢١)، للعلَّامة السعدي رحمه الله.
(٢) رواه أحمد (٥/ ٣٩١)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٩٨٥).

يَعنِي: أَنَّهُم يَرونَ ذَلِكَ حَقًّا[1].

وَالمَوْتُ عَلَى عَمَلٍ صَالِحٍ: فَضِيلَةٌ جَلِيلَةٌ، وَمَكرُمَةٌ نَبِيلَةٌ، وَنِعمَةٌ عَظِيمَةٌ، لَا تُسَاوِيهَا نِعمَةٌ.

وَلِأَجلِ هَذَا: كَانَ جَدِيرًا بِالعَاقِلِ: أَن يَلزَمَ الإِخلَاصَ فِي الأَقوَالِ وَالأَفعَالِ وَالأَحوَالِ حَيثُمَا كَانَ، لِأَجلِ تِلْكَ اللَّحظَةِ، الَّتِي إِن فَاتَت، شَقِيَ شَقَاوَةَ الأَبَدِ[2].

اللَّهُمَّ أَحيِنَا عَلَى إِخْلَاصِ التَّوحِيدِ، وَأَمِتنَا عَلَى صَالِحِ العَمَلِ، فَإِنَّ الاِعتِبَارَ بِالخَوَاتِيمِ[3].

٩- انتِفَاءُ الخَوفِ وَالحَزَنِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [البقرة: ١١٢].

فَقَد أَخبَرَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّهُ مَن أَخلَصَ قَصدَهُ لِلَّهِ،

(١) «شرح رياض الصَّالحين» (١/ ٢٩).
(٢) «طريق الهجرتين» (ص٥٤٦).
(٣) «الدين الخالص» (٣/ ١٤٧).

وَكَانَ مُحسِنًا فِي عَمَلِهِ، فَإِنَّهُ مُستَحِقٌّ لِلثَّوَابِ، سَالِمٌ مِنَ العِقَابِ.

وَذَلِكَ أَنَّ إِسلَامَ الوَجهِ لِلَّهِ: هُوَ مُتَضَمِّنٌ إِخْلَاصَ القَصدِ وَالنِّيَّةِ لِلَّهِ، كَمَا قَالَ بَعضُهُم:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ
رَبَّ العِبَادِ إِلَيهِ الوَجْهُ وَالعَمَلُ[1]

١٠- قَبُولُ الأَعمَالِ:

فَإِنَّ الإِخلَاصَ لِلَّهِ مَطلَبٌ ضَرُورِيٌّ لِقَبُولِ الأَعمَالِ، وَالمُجَازَاةِ عَلَيهَا بِعَظِيمِ الثَّوَابِ، وَجَزِيلِ العَطَايَا وَالهِبَاتِ.

إِذَا لَم يَكُن لِلَّهِ فِعلُكَ خَالِصًا
فَكُلُّ بِنَاءٍ قَد بَنَيتَ خَرَابُ[2]

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى

(١) استشهد به ابن جرير الطبري في«جامع البيان» (١/ ٥٦) [الفاتحة: ٦]، و(٤/ ٤٧) [آل عمران: ١٢١]، و(٢٠/ ٨٢) [القصص: ٨٨]. وهو من الأبيات، التي لا يُعرَف قائلها.
(٢) «ديوان الصنعاني» (ص٦٦).

النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيتَ رَجُلًا غَزَا، يَلتَمِسُ الأَجرَ وَالذِّكرَ، مَا لَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا شَيءَ لَهُ**» فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا شَيءَ لَهُ**» ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ العَمَلِ، إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابتُغِيَ بِهِ وَجهُهُ**»[1].

وَاعلَم بِأَنَّ الأَجرَ لَيسَ بِحَاصِلٍ، إِلَّا إِذَا كَانَت لَهُ صِفَتَانِ:

لَا بُدَّ مِن إِخْلَاصِهِ وَنَقَائِهِ
وَخُلُوِّهِ مِن سَائِرِ الأَدرَانِ

قَالَ العَلَّامَةُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «العَمَلُ إِذَا كَانَ الدَّاعِي لِفعلِهِ وَتَكمِيلِهِ: وَجهَ اللَّهِ، وَطَلَبَ رِضَاهُ، وَالفوزَ بِثَوَابِهِ؛ فَهَذَا العَمَلُ المَقبُولُ: الَّذِي قَلِيلُهُ كَثِيرٌ، وَغَايَتُهُ أَشرَفُ الغَايَاتِ، وَنَفعُهُ مُستَمِرٌّ دَائِمٌ»[2].

(١) رواه النسائي (٣١٤٠)، وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن النسائي» (٢/ ٣٨٤) [طبعة مكتبة المعارف]: «حسن صحيح».
(٢) «المجموعة الكاملة» (٥/ ١/ ٤٨٨)، للعلَّامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

١١- مَحَبَّةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلمُخلِصِينَ:

عَنْ سَعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العَبْدَ، التَّقِيَّ، الغَنِيَّ، الخَفِيَّ**»[1].

الخَفِيُّ: فَمَعنَاهُ الخَامِلُ المُنقَطِعُ إِلَى العِبَادَةِ، وَالاشتِغَالِ بِأُمُورِ نَفسِهِ[2]. لَا يَهتَمُّ أَنْ يَظهَرَ عِندَ النَّاسِ، أَو يُشَارَ إِلَيهِ بِالبَنَانِ، أَو يَتَحَدَّثَ النَّاسُ عَنهُ[3].

إِنسَانٌ خَفِيٌّ لَا يُحِبُّ الظُّهُورَ، وَلَا يَتَصَدَّرُ لِشَيءٍ، لِأَنَّ أَهَمَّ مَا عِندَهُ: هُوَ مَحَبَّةُ اللَّهِ لَهُ، وَرِضَا اللَّهِ عَنهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ**»[4]. هَذَا الأَشْعَثُ المَدْفُوعُ بِالأَبوَابِ، خَفِيٌّ مَا يُعْرَفُ، وَلَا يُؤذَنُ لَهُ فَيَدْخُلَ؛ فَالإِنسَانُ الخَفِيُّ الَّذِي لَا يُحِبُّ أَن يَتَظَاهَرَ أَمَامَ النَّاسِ، هَذَا هُوَ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ؛ كُن

(١) رواه مسلم (٢٩٦٥).
(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٨/ ١٠٠) [طبعة دار الفكر المصوَّرة].
(٣) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٥١١)، للعلَّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٤) رواه مسلم (٢٨٥٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

خَفِيًّا، تَكُنْ عِندَ اللَّهِ تَعَالَى عَظِيمًا رَفِيعًا.

١٢- بُلُوغُ النِّيَّةِ الخَالِصَةِ مَبلَغَ العَمَلِ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَدَنَا مِنَ المَدِينَةِ، فَقَالَ: «**إِنَّ بِالمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالمَدِينَةِ؟! قَالَ: «**وَهُمْ بِالمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»[١].

أُنَاسٌ جَلَسُوا فِي المَدِينَةِ وَمَا خَرَجُوا فِي الجِهَادِ، لَكِنَّهُم مَعَ الجَيشِ فِي أَجرِهِم وَالفَوزِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ، فَقَد كَانُوا يُرِيدُونَ الخُرُوجَ فِي الجِهَادِ، لَكِن حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ، فَلَم يَستَطِيعُوا الخُرُوجَ، وإِلَّا فَهُم يُرِيدُونَ الخُرُوجَ، عَلِمَ اللَّهُ مِن صِدقِ نِيَّاتِهِم مَا أَعطَاهُم بِهِ الأَجرَ، وَهُم قَاعِدُونَ فِي بُيُوتِهِم.

عَنْ سَهلِ بْنِ حُنَيْفٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ**

(١) رواه البخاري (٤٤٢٣).

مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»[١].

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ، وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ؛ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيهِ مِنْ رَبِّهِ عز وجل**»[٢].

وَقَالَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «...**إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ المنَازِلِ؛ وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ؛ وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ؛ وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ**

(١) رواه مسلم (١٩٠٩).

(٢) رواه النسائي (١٧٨٦)، وقال الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢١): «حسن صحيح».

مَالًا وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ»[1].

١٣- الإخلَاصُ سَبَبُ الانتِصَارِ:

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه: أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِي ﷺ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا: بِدَعْوَتِهِمْ، وَصَلَاتِهِمْ، وَإِخلَاصِهِمْ»**[2].

الضَّمَانُ الأَوَّلُ لِلفَوزِ بِتَأيِيدِ اللَّهِ تَعَالَى لَنَا فِي تَحقِيقِ النَّصرِ: هُوَ الإخلَاصُ، وإِلَّا فَسَيَكُونُ مَصِيرُنَا فِي مَعَارِكِنَا مَعَ أَعدَائِنَا الهَزِيمَةَ؛ انظُرُوا إِلَى الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم: كَيفَ فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمُ البِلَادَ؟! حَتَّى بَلَغُوا فِي سَنَوَاتٍ قَلِيلَةٍ: حُدُودَ الصِّينِ شَرقًا، وَالأَندَلُسَ غَربًا، وَالقِسطَنطِينِيَّةَ شِمَالًا، مَعَ أَنَّهُم لَم يَكُن لَهُم مِن عِدَّةِ الحُرُوبِ وَعَتَادِهَا

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٢٥)، وقال الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٦١): «حسن صحيح».

(٢) رواه النسائي(٣١٧٨)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٦).

مَا كَانَ لِلفُرسِ وَالرُّومِ، وَلَم تَكُنِ القُوَّةُ بَينَهُم وَبَينَ عَدُوِّهِم مُتَكَافِئَةً؛ فَعَدُوُّهُم كَانَ يَملِكُ أَضعَافَ مَا يَملِكُونَ مِن قُوَّةٍ بَشَرِيَّةٍ وَحَربِيَّةٍ، وَلَكِن لِأَنَّهُم أَسَّسُوا حَرَكَتَهُم فِي نَشرِ الإِسلَامِ عَلَى الإِخلَاصِ، وَأَقَامُوهَا عَلَى فِقهٍ فِي الإِعدَادِ وَالتَّوَكُّلِ، تَحَقَّقَ عَلَى أَيدِيهِمُ النَّصرُ المَنشُودُ.

فَإِن لَم يَكُنِ الإِخلَاصُ، فَالهَزِيمَةُ وَالدَّمَارُ.

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رحمه الله: «فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا خَلَصَتْ نِيَّتُهُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَكَانَ قَصْدُهُ وَهَمُّهُ وَعَمَلُهُ لِوَجْهِهِ سُبْحَانَهُ، كَانَ اللَّهُ مَعَهُ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ، وَرَأْسُ التَّقْوَى وَالْإِحْسَانِ: خُلُوصُ النِّيَّةِ لِلَّهِ فِي إِقَامَةِ الْحَقِّ.

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَا غَالِبَ لَهُ: فَمَنْ كَانَ مَعَهُ، فَمَنْ ذَا الَّذِي يَغْلِبُهُ أَوْ يَنَالُهُ بِسُوءٍ؟! فَإِنْ كَانَ اللَّهُ مَعَ الْعَبْدِ، فَمَنْ يَخَافُ؟ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ، فَمَنْ يَرْجُو؟ وَبِمَنْ يَثِقُ؟ وَمَنْ يَنْصُرُهُ مِنْ بَعْدِهِ؟

فَإِذَا قَامَ الْعَبْدُ بِالْحَقِّ عَلَى غَيْرِهِ، وَعَلَى نَفْسِهِ أَوَّلًا، وَكَانَ قِيَامُهُ بِاللَّهِ وَلِلَّهِ، لَمْ يَقُمْ لَهُ شَيْءٌ؛ وَلَوْ كَادَتْهُ

السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ، لَكَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَتَهَا، وَجَعَلَ لَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا.

وَإِنَّمَا يُؤْتَى الْعَبْدُ مِنْ تَفْرِيطِهِ وَتَقْصِيرِهِ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ، أَوْ فِي اثْنَيْنِ مِنْهَا، أَوْ فِي وَاحِدٍ؛ فَمَنْ كَانَ قِيَامُهُ فِي بَاطِلٍ لَمْ يُنْصَرْ، وَإِنْ نُصِرَ نَصْرًا عَارِضًا، فَلَا عَاقِبَةَ لَهُ، وَهُوَ مَذْمُومٌ مَخْذُولٌ؛ وَإِنْ قَامَ فِي حَقٍّ، لَكِنْ لَمْ يَقُمْ فِيهِ لِلَّهِ، وَإِنَّمَا قَامَ لِطَلَبِ الْمَحْمَدَةِ وَالشُّكُورِ وَالْجَزَاءِ مِنَ الْخَلْقِ، أَوِ التَّوَصُّلِ إِلَى غَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ، كَانَ هُوَ الْمَقْصُودَ أَوَّلًا، وَالْقِيَامُ فِي الْحَقِّ وَسِيلَةٌ إِلَيْهِ، فَهَذَا لَمْ تُضْمَنْ لَهُ النُّصْرَةُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا ضَمِنَ النُّصْرَةَ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، وَقَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، لَا لِمَنْ كَانَ قِيَامُهُ لِنَفْسِهِ وَلِهَوَاهُ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمُتَّقِينَ، وَلَا مِنَ الْمُحْسِنِينَ، وَإِنْ نُصِرَ فَبِحَسَبِ مَا مَعَهُ مِنَ الْحَقِّ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْصُرُ إِلَّا الْحَقَّ.

وَإِذَا كَانَتِ الدَّوْلَةُ لِأَهْلِ الْبَاطِلِ، فَبِحَسَبِ مَا مَعَهُمْ مِنَ الصَّبْرِ، وَالصَّبْرُ مَنْصُورٌ أَبَدًا؛ فَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ مُحِقًّا، كَانَ مَنْصُورًا لَهُ الْعَاقِبَةُ، وَإِنْ كَانَ مُبْطِلًا، لَمْ يَكُنْ لَهُ عَاقِبَةٌ؛ وَإِذَا قَامَ الْعَبْدُ فِي الْحَقِّ لِلَّهِ، وَلَكِنْ قَامَ بِنَفْسِهِ وَقُوَّتِهِ، وَلَمْ

يَقُمْ بِاللَّهِ مُسْتَعِينًا بِهِ، مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ، مُفَوِّضًا إِلَيْهِ، بَرِيًّا مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِهِ، فَلَهُ مِنَ الْخِذْلَانِ وَضَعْفِ النُّصْرَةِ، بِحَسَبِ مَا قَامَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ»[١].

١٤- قَلبُ المُبَاحَاتِ إِلَى طَاعَاتٍ:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﵁: أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ؛ قَالَ: «**أَوَ لَيسَ قَد جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟! إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً؛ وَأَمْرٌ بِالمَعرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهوَتَهُ، وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟! قَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَام، أَكَانَ عَلَيهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الحَلَالِ، كَانَ لَهُ أَجْرًا**»[٢].

---

(١) «إعلام الموقعين» (٢/ ١٦٥-١٦٦).

(٢) رواه مسلم (١٠٠٦).

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيهَا، حَتَّى اللُّقْمَةَ تَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِكَ**»[1].

فَمَن فَعَلَ مِنَ المُبَاحَاتِ مَا يَستَعِينُ بِهِ عَلَى الطَّاعَةِ، وَقَصَدَ الاِستِعَانَةَ بِهَا عَلَى الطَّاعَةِ، فَهَذَا سَبِيلُ المُقَرَّبِينَ السَّابِقِينَ.

«فَطُوبَى لِأَهلِ الهِمَمِ العَالِيَةِ! لَقَدِ انقَلَبَت عَادَاتُهُم بِالنِّيَّةِ الصَّالِحَةِ عِبَادَاتٍ. وَيَا وَيحَ أَهلِ الجَهلِ وَالهِمَمِ الدَّنِيَّةِ! لَقَد كَادَت عِبَادَاتُهُم لِضَعفِ النِّيَّةِ تَكُونُ عَادَاتٍ»[2].

١٥- مَغفِرَةُ الذُّنُوبِ:

إِذَا تَمَكَّنَ الإِخلَاصُ مِن عَمَلٍ، كَانَ سَبَبًا لِمَغفِرَةِ ذَنبِ صَاحِبِهِ وَمُضَاعَفَةِ أَجرِهِ، حَتَّى لَو كَانَتِ الطَّاعَةُ فِي ظَاهِرِهَا يَسِيرَةً أَو قَلِيلَةً؛ يَقُولُ ابنُ المُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ: رُبَّ عَمَلٍ صَغِيرٍ تُكَثِّرُهُ النِّيَّةُ، وَرُبَّ عَمَلٍ كَثِيرٍ تُصَغِّرُهُ النِّيَّةُ[3].

---

(١) رواه البخاري (٦٧٣٣)، ومسلم (١٦٢٨).

(٢) «المجموعة الكاملة» (٦/ ٨٣).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٠٠).

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِي ﷺ: «**بَيْنَمَا كَلبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ**»[1].

فَهَذِهِ سَقَتِ الكَلبَ بِإِيمَانٍ خَالِصٍ كَانَ فِي قَلبِهَا، فَغُفِرَ لَهَا؛ وَإِلَّا فَلَيسَ كُلُّ بَغِيٍّ سَقَت كَلبًا، يُغفَرُ لَهَا.

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « **بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَذَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ**»[2].

فَهَذَا الَّذِي نَحَّى غُصنَ الشَّوكِ مِنَ الطَّرِيقِ، فَعَلَهُ إِذ ذَاكَ بِإِيمَانٍ خَالِصٍ، وَإِخْلَاصٍ قَائِمٍ بِقَلبِهِ، فَغُفِرَ لَهُ بِذَلِكَ، فَالأَعمَالُ تَتَفَاضَلُ: بِتَفَاضُلِ مَا فِي القُلُوبِ مِنَ الإِيمَانِ وَالإِخلَاصِ؛ وَإِنَّ الرَّجُلَينِ لَيَكُونُ مَقَامُهُمَا فِي الصَّفِّ وَاحِدًا، وَبَينَ صَلَاتِهِمَا كَمَا بَينَ السَّمَاءِ وَالأَرضِ، وَلَيسَ

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥).

(٢) رواه البخاري (٢٤٧٢)، ومسلم (١٩١٤) «٣٣- كتاب الإمارة، و٤٥- كتاب البر والصلة والآداب».

كُلُّ مَن نَحَّى غُصْنَ شَوْكٍ عَنِ الطَّرِيقِ، يُغفَرُ لَهُ.

١٦- تَنقِيَةُ القَلْبِ مِنَ الغِلِّ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«نَضَّرَ اللَّهُ امْرَءًا سَمِعَ مَقَالَتِي، فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ؛ ثَلَاثٌ لَا يَغِلُّ عَلَيهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ المُسلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ؛ فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»**(١).

«**لَا يَغِلُّ عَلَيهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ**»: أَي: لَا يَبقَى فِيهِ غِلٌّ، وَلَا يَحمِلُ الغِلَّ مَعَ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ، بَل تَنفِي عَنهُ غِلَّهُ، وَتُنَقِّيهِ وَتُخرِجُهُ عَنهُ.

١٧- تَفرِيجُ الكُرُباتِ:

إِنَّ إِخلَاصَ النِّيَّةِ وَصِدقَ العَبدِ فِي الِالتِجَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى: سَبَبٌ لِلنَّجَاةِ مِن عَذَابِ الدُّنيَا وَمَصَائِبِهَا وَتَفرِيجِ كُرَبِهَا، وَهَذَا بَيِّنٌ فِي حَدِيثِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ آوَاهُمُ المَبِيتُ

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٥٨)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٦٧٦٦).

إِلَى الغَارِ: «**فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنجِيكُم مِن هَذِهِ الصَّخرَةِ، إِلَّا أَن تَدعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعمَالِكُم**»؛ فَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنهُم، بَعدَ أَن يَذكُرَ عَمَلًا صَالِحًا قَامَ بِهِ، يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ! فَإِن كُنتُ فَعَلتُ ذَلِكَ ابتِغَاءَ وَجهِكَ، فَافرُج عَنَّا مَا نَحنُ فِيهِ! فَانفَرَجَتِ الصَّخرَةُ، فَخَرَجُوا يَمشُونَ**»(١).

١٨- عُلُوُّ الهِمَّةِ:

فَلَا مَثِيلَ لِلإِخْلَاصِ فِي رَفعِ هِمَّةِ الإِنسَانِ، فَالَّذِي يَطلُبُ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى، لَن تَقِفَ بِهِ هِمَّتُهُ عِندَ هَدَفٍ دُنيَوِيٍّ: مِن مَالٍ وَشُهرَةٍ وَمَكَانَةٍ، وَلَن تَعُوقَهُ عَقَبَاتٌ، لِأَنَّهُ يَنظُرُ إِلَى أَبعَدَ مِنَ الدُّنيَا، فَهُوَ يَرجُو رِضَا اللَّهِ تَعَالَى عَنهُ، وَيَطمَعُ فِي الثَّوَابِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَنقَطِعُ فِي الآخِرَةِ، وَرَبَطَ آمَالَ نَفسِهِ بِرِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَنَعِيمِهِ المُقِيمِ، فَالإِخلَاصُ هُوَ الَّذِي يَرتَفِعُ بِالهِمَمِ دُونَ حُدُودٍ.

المُخلِصُ «فِي سَفَرٍ دَائِمٍ بِالقَلْبِ إِلَى اللَّهِ، لِيَحصَلَ

---

(١) رواه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣) عن عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما.

لَهُ وَيَفُوزَ بِهِ، فَإِنَّهُ طَالِبٌ لِرَبِّهِ تَعَالَى طَلَبًا تَامًّا بِكُلِّ مَعنًى وَاعتِبَارٍ: فِي عَمَلِهِ، وَعِبَادَتِهِ، وَمُنَاجَاتِهِ، وَنَومِهِ، وَيَقَظَتِهِ، وَحَرَكَتِهِ، وَسُكُونِهِ، وَعُزلَتِهِ، وَخِلطَتِهِ، وَسَائِرِ أَحوَالِهِ؛ فَقَدِ انصَبَغَ قَلبُهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَيَّمَا صِبغَةٍ»[(١)].

١٩- الحِفظُ مِنَ الشَّيطَانِ:

«لَـمَّا عَلِـمَ إِبلِيسُ: أَنَّـهُ لَا سَبِيلَ لَـهُ عَلَى أَهـلِ الإِخلَاصِ، استَثنَاهُم مِن شِرْطَتِهِ الَّتِي اشتَرَطَهَا لِلغِوَايَةِ وَالإِهـلَاكِ، فَقَالَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢ - ٨٣]، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر: ٤٢]»[(٢)].

فَقَد أَقسَمَ عَدُوُّ اللَّهِ أَنَّهُ لَيُغوِيَنَّ بَنِي آدَمَ أَجمَعِينَ، إِلَّا الـمُخلِصِينَ مِنهُم، وَأَخبَرَ تَعَالَى أَنَّ الـمُخلِصِينَ لَا سَبِيلَ لَهُ عَلَيهِم، وَالـمُخلِصُونَ هُمُ الَّذِينَ أَخلَصُوا

(١) «تهذيب المدارج» (ص٨٠٥).
(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٧٧).

العِبَادَةَ وَالمَحَبَّةَ، وَالإِجلَالَ وَالطَّاعَةَ لَهُ.

فَالإِخلَاصُ هُوَ سَبِيلُ الـخَلَاصِ مِنَ الشَّيطَانِ. وَالشَّاذُّ النَّادِرُ وَالفَردُ الفَذُّ، هُوَ الـمُستَثنَى فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٣].

«فَإِذَا أُشرِبَ القَلْبُ العُبُودِيَّةَ وَالإِخلَاصَ، صَارَ عِندَ اللَّهِ مِنَ المُقَرَّبِينَ، وَشَمَلَهُ استِثنَاءُ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٣]»[(١)].

فَمَا أَعظَمَ سَعَادَةَ مَن دَخَلَ فِي حِصنِ الإِخلَاصِ، «لَقَد آوَى إِلَى حِصنٍ لَا خَوفَ عَلَى مَن تَحَصَّنَ بِهِ، وَلَا ضَيعَةَ عَلَى مَن آوَى إِلَيهِ، وَلَا مَطمَعَ لِلعَدُوِّ فِي الدُّنُوِّ مِنهُ، وَ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة: ٤]»[(٢)].

٢٠- الإِظلَالُ فِي ظِلِّ الرَّحمَنِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ:

كَمَا فِي حَدِيثِ السَّبعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ:

(١) «موارد الأمان» (ص٣١).
(٢) «بدائع الفوائد» (٢/ ٧٧٠).

«وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ؛ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[1].

٢١- النَّجَاةُ يَومَ الدِّينِ مِن عَذَابِ اللهِ العَظِيمِ:

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَومَ القِيَامَةِ عَلَيهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَد قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ؛ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَد قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ؛ وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ**

(١) رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَد قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[1].

فَانظُر إِلَى أَعمَالِهِم مَا أَجمَلَهَا! وَانظُر إِلَى مَصِيرِهِم مَا أَقبَحَهُ! وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِفَسَادِ قُلُوبِهِم، وَخُبثِ ضَمَائِرِهِم، وَعَدَمِ إِخلَاصِهِم لِلَّهِ فِي أَعمَالِهِم[2].

هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ قَامُوا بِأَعْمَالٍ عَظِيمَةٍ جَلِيلَةٍ، وَلَمَّا لَم يُطَهِّرُوا قُلُوبَهُم مِنَ الرِّيَاءِ، كَانَ مَصِيرُهُمُ النَّارَ يَومَ القِيَامَةِ.

قال شَيخُ الإِسلَام رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الرِّيَاءَ وَالسُّمعَةَ، هُم بِإِزَاءِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ بَعدَ النَّبِيِّينَ مِنَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ.

فَإِنَّ مَنْ تَعَلَّمَ العِلْمَ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رُسُلَهُ،

(١) رواه مسلم (١٩٠٥).

(٢) «الكلمات الحسان فيما يعين على الحفظ» (ص٥٣).

وَعَلَّمَهُ لِوَجْهِ اللَّهِ، كَانَ صِدِّيقًا؛ وَمَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَقُتِلَ كَانَ شَهِيدًا؛ وَمنْ تَصَدَّقَ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ، كَانَ صَالِحًا»[1].

«فَمَن أَرَادَ الدُّنيَا وَنَعِيمَهَا وَمَلَذَّاتِهَا [وَآثَرَهَا عَلَى نَعِيمِ الآخِرَةِ]، فَإِنَّهُ قَد يَنَالُهَا، وَلَكِنَّهُ حِينَئِذٍ مُطَالَبٌ بِأَن يُعِدَّ نَفسَهُ لِلنَّارِ - وَالعِيَاذُ بِاللَّهِ - أَيًّا كَانَ عَمَلُهُ!

فَلَو كَانَ مُجَاهِدًا لِلكُفَّارِ، وَأُزهِقَت رُوحُهُ فِي القِتَالِ، وَلَم يَكُن لِلَّهِ مُخلِصًا؛ فَلْيَنتَظِرِ النَّارَ!

وَلَو كَانَ حَافِظًا لِلقُرآنِ، وَمُتَفَقِّهًا فِي شَرِيعَةِ رَبِّ الأَنَامِ، وَدَاعِيَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الإِسلَامِ، وَلَم يَكُن لِلَّهِ مُخلِصًا؛ فَلْيَنتَظِرِ النَّارَ!

وَلَو كَانَ مِنَ الأَثرِيَاءِ، وَأَنفَقَ كُلَّ مَالِهِ عَلَى المَسَاكِينِ وَالفُقَرَاءِ، وَتَعلِيمِ المُسلِمِينَ شَرِيعَةَ اللَّهِ

(١) شرح حديث: «لَا يَزنِي الزَّانِي حِينَ يَزنِي وَهُوَ مُؤمِنٌ» (ص٤٧)، لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ.

السَّمحَاءَ، وَلَم يَكُن لِلَّهِ مُخلِصًا؛ فَلْيَنتَظِرِ النَّارَ!»[1].

٢٢- الفَوزُ بِالنَّعِيمِ المُقِيمِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣)﴾ [الصافات: ٤٠ - ٤٣].

لِأَنَّهُم أَخلَصُوا أَعمَالَهُم لِلَّهِ فَاجتَبَاهُم، وَاختَصَّهُم بِرَحمَتِهِ، وَجَادَ عَلَيهِم بِلُطفِهِ، وَعَلَيهِ (فَالنَّاسُ كُلُّهُم هَلكَى إِلَّا العَالِمِينَ، وَالعَالِمُونَ كُلُّهُم هَلكَى إِلَّا العَامِلِينَ، وَالعَامِلُونَ كُلُّهُم هَلكَى إِلَّا المُخلِصِينَ).

٢٣- النَّجَاةُ مِن عَذَابِ الآخِرَةِ:

قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ طَائِفَةٍ مِنَ المُخلِصِينَ: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢)﴾ [الإنسان: ٨-١٢].

(١) «الكلمات الحسان فيما يعين على الحفظ» (ص٥٢).

فَأَثَابَهُمُ البَرُّ الرَّحِيمُ مِنْ بِرِّهِ: أَجرًا عَظِيمًا، وَعطَاءً جَسِيمًا، وَفَوزًا دَائِمًا[١].

٢٤- نَيلُ قَبُولِ النَّاسِ وَمَحبَّتِهم:

فَمَن أَخلَصَ فَاحَ عَبِيرُ فَضلِهِ، وعَبقَتِ القُلُوبُ بِنَشرِ طِيبِهِ: بِعَكسِ الـمُرَائِي الَّذِي يَطلُبُ الشُّهرَةَ، وَيسعَى لِلحُصُولِ عَلَى المَنزِلَةِ فِي قُلُوبِ النَّاسِ، فَاللَّهُ يُعَامِلُهُ بِنَقِيضِ قَصدِهِ.

عَنْ جُنْدَبِ بنِ عَبدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ**»[٢].

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: «مَعْنَاهُ: مَنْ عَمِلَ عَمَلًا عَلَى غَيْرِ إِخْلَاصٍ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ وَيَسْمَعُوهُ؛ جُوزِيَ عَلَى ذَلِكَ: بِأَنْ يُشَهِّرَهُ اللَّهُ وَيَفْضَحَهُ، وَيُظْهِرَ مَا كَانَ يُبْطِنُهُ»[٣].

«فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا فِي الخَفَاءِ، وَكَانَ فِيهِ لِلَّهِ

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص١٩٨).
(٢) رواه البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٧).
(٣) نقله عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني: في «فتح الباري» (١١/ ٣٤٤).

مُخلِصًا، ثُمَّ تَحَدَّثَ بِهِ رِيَاءً وَسُمعَةً، فَهَذَا مَصِيرُهُ وَجَزَاؤُهُ! فَكَيفَ بِمَن قَصَدَ الرِّيَاءَ بِعَمَلِهِ ابتِدَاءً؟!»[١].

قَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَمَنْ تَزَيَّنَ لِلنَّاسِ، بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْهُ غَيْرَ ذَلِكَ؛ شَانَهُ اللَّهُ[٢].

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ مُعَلِّقًا عَلَى هَذِهِ الجُملَةِ النَّفِيسَةِ: «لَمَّا كَانَ المُتَزَيِّنُ بِمَا لَيسَ فِيهِ ضِدَّ المُخلِصِ - فَإِنَّهُ يُظهِرُ لِلنَّاسِ أَمرًا وَهُوَ فِي البَاطِنِ بِخِلَافِهِ - عَامَلَهُ اللَّهُ بِنَقِيضِ قَصدِهِ، فَإِنَّ المُعَاقَبَةَ بِنَقِيضِ القَصدِ ثَابِتَةٌ شَرعًا وَقَدَرًا، وَلَمَّا كَانَ المُخلِصُ يُعَجَّلُ لَهُ مِن ثَوَابِ إِخلَاصِهِ: الحَلَاوَةُ والمَحَبَّةُ والمَهَابَةُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ؛ عُجِّلَ لِلمُتَزَيِّنِ بِمَا

(١) «الكلمات الحسان فيما يعين على الحفظ» (ص٥٣).
(٢) رواه الدارقطني (٤/ ٢٠٧)، وصححه الألباني رحمه الله في «إرواء الغليل» (٢٦١٩).
وقد جزمت (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، والإفتاء، والدعوة والإرشاد) في «مجلة البحوث الإسلامية» (١٧/ ٢٢٣): بصحة صدور هذه الرسالة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بحيث لا يبقى هناك مجال للطعن فيها، أو التشكيك في صحتها؛ بعد بحث طويل مستفيض.

لَيسَ فِيهِ مِن عُقُوبَتِهِ: أَن شَانَهُ اللَّهُ بَينَ النَّاسِ، لِأَنَّهُ شَانَ بَاطِنَهُ عِندَ اللَّهِ؛ وَهَـذَا مُوجِبُ أَسمَاءِ الرَّبِّ الحُسنَى، وَصِفَاتِهِ العُليَا، وَحِكمَتِهِ فِي قَضَائِهِ وَشَرعِهِ.

هذا وَلَـمَّا كَانَ مَن تَزَيَّنَ لِلنَّاسِ بِمَا لَيسَ فِيهِ: مِنَ الخُشُوعِ وَالدِّينِ وَالنُّسُكِ وَالعِلمِ وَغَيرِ ذَلِكَ، قَد نَصَبَ نَفسَهُ لِلَوَازِمِ هَذِهِ الأَشيَاءِ وَمُقتَضَيَاتِهَا، فَلَا بُدَّ أَن تُطلَبَ مِنهُ؛ فَإِن لَم تُوجَد عِندَهُ افتُضِحَ، فَيَشِينُهُ ذَلِكَ مِن حَيثُ ظَنَّ أَنَّهُ يَزِينُهُ.

وَأَيضًا فَإِنَّهُ أَخفَى عَنِ النَّاسِ مَا أَظهَرَ لِلَّهِ خِلَافَهُ، فَأَظهَرَ اللَّهُ مِن عُيُوبِهِ لِلنَّاسِ مَا أَخفَاهُ عَنهُم، جَزَاءً لَهُ مِن جِنسِ عَمَلِهِ.

وَكَانَ بَعضُ الصَّحَابَةِ يَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ خُشُوعِ النِّفَاقِ، قَالُوا: وَمَا خُشُوعُ النِّفَاقِ؟ قَالَ: أَنْ تَرَى الجَسَدَ خَاشِعًا، وَالْقَلْبُ غَيْرُ خَاشِعٍ[1].

---

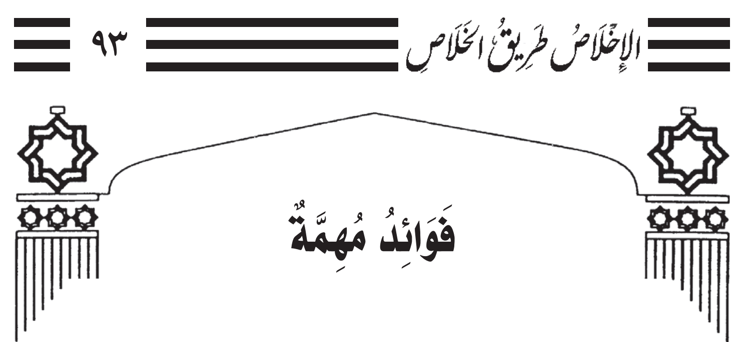
(١) أخرج نحوه أحمد في «الزهد» (ص١٧٦)، بسند جيد: عن أبي الدرداء رضي الله عنه، موقوفًا عليه من قوله.

وَأَسَاسُ النِّفَاقِ وَأَصلُهُ: هُوَ التَّزَيُّنُ لِلنَّاسِ، بِمَا لَيسَ فِي البَاطِنِ مِنَ الإِيمَانِ»[1].

* * *

---

(١) إعلام الموقعين (٢/ ١٦٨- ١٦٩) [مكتبة ابن تيمية - القاهرة].



فَوائِدُ مُهِمَّةٌ

أَوَّلًا: سُرُورُ العَبْدِ عِندَ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيهِ، وَهُوَ لَا يَقصِدُ ذَلِكَ: هَذَا لَا يَقدَحُ فِي إِخْلَاصِهِ، مَا دَامَ بَدَأَهُ بِإِخْلَاصٍ، وَخَرَجَ مِنهُ مُخلِصًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس: ٥٨].

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيهِ؟! قَالَ: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى المُؤمِنِ**»[1].

فأَمَّا إِذَا عَمِلَ العَمَلَ، لِيَعلَمَ النَّاسُ مِنهُ الخَيرَ، وَيُكرِمُوهُ عَلَيهِ: فهَذَا هُوَ الرِّيَاءُ.

ثَانِيًا: إِن قُمتَ بِوَاجِبِ النَّصِيحَةِ لِأَحَدٍ «فَاحذَر أَن تُفسِدَ نَصِيحَتَكَ بِالتَّمَدُّحِ عِندَ النَّاسِ، فَتَقُولَ لَهُم: إِنِّي

---

(١) رواه مسلم (٢٦٤٢).

نَصَحتُهُ وَقُلتُ وَقُلتُ. فَإِنَّ هَذَا عُنوَانُ الرِّيَاءِ، وَعَلَامَةُ ضَعفِ الإِخلَاصِ»[١].

ثَالِثًا: مِن دَقَائِقِ أَبوَابِ الرِّيَاءِ: أَنَّ الإِنسَانَ قَد يَذُمُّ نَفسَهُ بَينَ النَّاسِ، يُرِيدُ بِذَلِكَ أَن يُرِيَ النَّاسَ أَنَّهُ مُتَوَاضِعٌ عِندَ نَفسِهِ، فَيَرتَفِعَ بِذَلِكَ عِندَهُم، وَيَمدَحُونَهُ بِهِ؛ وَهَذَا مِن دَقَائِقِ أَبوَابِ الرِّيَاءِ، وَقَد نَبَّهَ عَلَيهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ.

قَالَ مُطَرِّفُ بنُ عَبدِ اللَّهِ بنِ الشِّخِّيرِ: كَفَى بِالنَّفسِ إِطرَاءً أَن تَذُمَّهَا عَلَى المَلَإِ، كَأَنَّكَ تُرِيدُ بِذَمِّهَا زِينَتَهَا، وَذَلِكَ عِندَ اللَّهِ سَفَهٌ[٢].

وَيَظهَرُ مِنهُم مِن قَبُولِ المَدحِ وَاستِجلَابِهِ: مَا يُنَافِي الصِّدقَ وَالإِخلَاصَ، فَإِنَّ الصَّادِقَ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفسِهِ، وَيَخشَى عَلَى نَفسِهِ مِن سُوءِ الخَاتِمَةِ، فَهُوَ فِي شُغلٍ شَاغِلٍ عَن قَبُولِ المَدحِ وَاستِحسَانِهِ[٣].

(١) «المجموعة الكاملة» (٥/ ١/ ٣٩٨)، بتصرُّف يسير.
(٢) شرح حديث: «**مَا ذِئبَانِ جَائِعَانِ**» (ص٤٧).
(٣) «فضل علم السلف على الخلف» (ص٥٥).

وَقَالَ ابنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، كُلُّهُم يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، مَا مِنْهُم أَحَدٌ يَقُولُ: إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ[١].

وَقَالَ الحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَانَ يُقَالُ: النِّفَاقُ اخْتِلَافُ السِّرِّ وَالعَلَانِيَةِ، وَالقَولِ وَالعَمَلِ[٢].

وَعَنْ جُبَيرِ بنِ نُفَيرٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ مَنْزِلَهُ بِحِمْصَ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مَسْجِدِهِ، فَلَمَّا جَلَسَ يَتَشَهَّدُ فَجَعَلَ يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ النِّفَاقِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ لَهُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، مَا أَنْتَ وَالنِّفَاقَ؟! مَا شَأْنُكَ وَمَا شَأْنُ النِّفَاقِ؟! فَقَالَ: اللَّهُمَّ غُفْرًا - ثلاثًا -، لَا يَأْمَنُ البَلَاءَ مَنْ يَأْمَنُ البَلَاءَ، وَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيُفْتَنُ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَيَنْقَلِبُ عَنْ دِينِهِ[٣].

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بنِ قُرَّةَ قَالَ: أَنْ لَا يَكُونَ فِيَّ نِفَاقٌ،

(١) رواه البخاري معلقًا مجزومًا به: قبل الحديث (٤٨). ووصله البخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ١٣٧).
(٢) رواه الفريابي في «صفة النفاق» (٥٠)، وصحح إسناده المحقق.
(٣) رواه الفريابي في «صفة النفاق» (٧٤)، وصحح إسناده المحقق.

أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. كَانَ عُمَرُ يَخْشَاهُ، وَآمَنُهُ أَنَا؟!(١)

فَالإِخلَاصُ سَفِينَةُ النَّجَاةِ، مِنَ الغَرَقِ فِي مُحِيطِ النِّفَاقِ.

وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا
إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ(٢)

فَأَحكِم سَفِينَةَ الإِخلَاصِ، فَإِنَّ البَحرَ عَمِيقٌ، وَأَموَاجُهُ مُتَلَاطِمَةٌ، وَلَا سَبِيلَ لِلوُصُولِ إِلَى بَرِّ الأَمنِ وَالأَمَانِ، إِلَّا بِرُكُوبِ سَفِينَةِ الإِخلَاصِ.

وَمَن نَظَرَ فِي سِرِّ الإِخلَاصِ، عَلِمَ: أَنَّ مَن لَم يُخلِص، لَم يُؤتَ إِلَّا مِن قِبَلِ نَفسِهِ.

---

(١) رواه الفريابي في «صفة النفاق» (٨٦)، وصحح إسناده المحقق.

(٢) نسبه ابن حبان في «روضة العقلاء» (ص٢٨٥): لأبي العتاهية، في موعظة جرت له مع هارون أمير المؤمنين.

بينَ المُخلِصِ والمُرَائي

إنَّ المُخلِصَ الَّذِي لَا يُرِيدُ إِلَّا وَجهَ اللَّهِ وَثَوَابَهُ، لَا يُبَالِي بِلَومِ اللَّائِمِينَ، إِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ رِضًا لِرَبِّ العَالَمِينَ، فَيُقْدِمُ عَلَى قَولِ الحَقِّ، غَيرَ مُبَالٍ بِانتِقَادِ مَن انتَقَدَهُ فِي مَوضُوعِهِ، أَو لَفظِهِ، أَو فَصَاحَتِهِ، أَو عَدَمِهَا، لَا يَعُدُّ المَدحَ مِنَ النَّاسِ شَيئًا، فِي جَانِبِ قِيَامِهِ بِالحَقِّ.

أَمَّا المُرَائِي المُتَزَيِّنُ لِلنَّاسِ، الوَاقِفُ فِي هِمَّتِهِ عَلَى مَدحِهِم وَذَمِّهِم: فَمَا أَسرَعَ خَورَهُ فِي المَقَامَاتِ الرَّهِيبَةِ! وَمَا أَعظَمَ هَلَعَهُ وَهَيبَتَهُ إِذَا رَمَاهُ النَّاسُ بِأَبصَارِهِم! وَمَا أَقَلَّ ثُبُوتَهُ عِندَ اعتِرَاضِ المُعتَرِضِينَ وَذَمِّ الذَّامِّينَ! وَالسَّبَبُ فِي هَذَا: أَنَّهُ جَعَلَ تَعظِيمَ الخَلقِ، وَمَدحَهُم وَثَنَاءَهُم: نُصبَ عَينَيهِ وَقِبلَةَ قَلبِهِ، وَهُوَ غَايَتُهُ الَّتِي يَطلُبُ، وَمَعلُومٌ أَنَّ مَن كَانَت هَذِهِ

حَالُهُ: أَنَّ أَقوَالَهُ وَأَفعَالَهُ تَقَعُ عَلَى هَذَا النَّحوِ الَّذِي يَنحُو، وَالطَّرِيقَةِ الَّتِي إِلَيهَا يَصبُو؛ وَمَعَ ذَلِكَ: لَو قَامَ فِي مَقَامٍ مِن مَقَامَاتِهِ الوَضِيعَةِ، لَكَانَت أَقوَالُهُ وَأَفعَالُهُ قَلِيلَةَ البَرَكَةِ، غَيرَ مَأمُونٍ مِن ثُبُوتِهِ عَلَيهَا، وَلَو تَأَمَّلتَ الغَايَةَ الَّتِي يَسعَى إِلَيهَا، وَهِيَ إِرَادَةُ تَعظِيمِ الخَلقِ، لَوَجدتَ هَذَا التَّعظِيمَ أَوِ الثَّنَاءَ - إِذَا فُرِضَ وُجُودُهُ - نِفَاقًا وَتَزَيُّنًا وَاتِّبَاعًا لِلأَغرَاضِ المُتَنَوِّعَةِ، فَمَا أَسرَعَ مَا يَنقَطِعُ وَيَتَبَدَّلُ بِضِدِّهِ!

أَمَّا المُخلِصُ لِلَّهِ القَاصِدُ لِوَجهِهِ، الَّذِي غَرَضُهُ نَفعُ عِبَادِ اللَّهِ: فَإِنَّ اللَّهَ يَجعَلُ فِي أَعمَالِهِ وَكَلَامِهِ الخَيرَ وَالبَرَكَةَ، وَلَو قُدِّرَ أَن يَعتَرِضَهُ فِي هَذَا الطَّرِيقِ لَومُ اللَّائِمِينَ وَطَعنُهُم، فَيَا سُرعَانَ مَا يَزُولُ، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الرعد: ١٧]. كُلُّ عَمَلٍ لِغَيرِ اللَّهِ: فَهُوَ مُضمَحِلٌّ بَاطِلٌ، وَكُلُّ سَعيٍ لِلَّهِ وَلِنَفعِ الخَلقِ: فَإِنَّهُ بَاقٍ وَنَفعُهُ مُتَوَاصِلٌ؛ مَا أَخسَرَ المُرَائِينَ! وَمَا أَسوَأَ حَظَّ المُتَشَبِّعِينَ بِالبَهرَجِ المُتَزَيِّنِينَ! وَمَا أَعظَمَ حَظَّ المُخلِصِينَ! وَمَا أَعظَمَ

دَرَجَاتِهِم عِندَ رَبِّ العَالَمِينَ![1]

كَم بَينَ مَنْ هِمَّتُهُ الكُبرَى دَائِرَةٌ حَولَ مَرَاضِي اللَّهِ، وَالسَّعيِ فِي نَفعِ عِبَادِ اللَّهِ، وَاستِحلَاءِ المَشَاقِّ فِي هَذَا السَّبِيلِ؟! وَبَينَ مَنْ هِمَّتُهُ الدَّنِيئَةُ حَولَ الأُمُورِ الدَّنِيئَةِ، وَغَايَتُهُ التَّقَرُّبُ إِلَى الخَلقِ وَالتَّزَيُّنُ لَهُم؟! قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ﴾ [الرعد: ١٦][2].

✻ ✻ ✻

(١) «المجموعة الكاملة» (٥/ ١/ ٤٠٣ - ٤٠٤)، للعلَّامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) المصدر السابق (٥/ ١/ ٤٠٤).



حَالُ المُخلِصِ اليَومَ

المُخلِصُ فِي هَذَا الزَّمَانِ العَصِيبِ يَشتَغِلُ بِتَربِيَةِ مَنزِلَتِهِ عِندَ اللَّهِ، فَهُوَ فِي شُغلٍ عَن طَلَبِ المَنزِلَةِ عِندَ الخَلقِ. فَلَيسَ عِندَهُ حُبٌّ لِلظُّهُورِ- الَّذِي هُوَ قَاصِمٌ لِلظُّهُورِ - «بَل يَهرُبُ مِنهُ أَشَدَّ الهَرَبِ، وَيَفِرُّ أَشَدَّ الفِرَارِ، خَشيَةَ أَن يَقطَعَهُ الخَلقُ عَنِ الحَقِّ جَلَّ جَلَالُهُ»[١].

المُخلِصُ فِي غُربَةٍ شَدِيدَةٍ، لَكِنَّهُ «لَا يَستَوحِشُ مِن قِلَّةِ الرَّفِيقِ، وَلَا مِن فَقدِهِ، إِذَا استَشعَرَ قَلبُهُ مُرَافَقَةَ الرَّعِيلِ الأَوَّلِ، الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم: مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا»[٢]. فَلاَ يَكتَرِثُ بِمُخَالَفَةِ مُحِبِّي الظُّهُورِ

---

(١) شرح حديث: «**مَا ذِئبَانِ جَائِعَانِ**» (ص٥٥).
(٢) «موارد الأمان» (ص١٣٢- ١٣٣).

وَالشُّهرَةِ لَهُ. «فَإِنَّهُم هُمُ الأَقَلُّونَ قَدرًا، وَإِن كَانُوا الأَكثَرِينَ عَدَدًا»[1].

المُخلِصُ يُعَامِلُ النَّاسَ: بِالصِّدقِ، وَالإِخلَاصِ، وَالنُّصحِ، وَهُم يُعَامِلُونَهُ بِضِدِّ ذَلِكَ.

وَاللَّهُ المُستَعَانُ، وَعَلَيهِ التُّكلَانُ. وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

❃ ❃ ❃

(١) «تهذيب المدارج» (ص٤٣).

الخَاتِمَةُ

الحَمدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِلإِسلَام وَمَنَّ بِهِ عَلَينَا، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَيرِ الأَنَامِ.

المُخلِصُونَ «هُم خُلَاصَةُ الخَلقِ وَصَفوَتُهُم، وَهَل يُوجَدُ أَكمَلُ مِمَّن خَلُصَت إِرَادَتُهُم وَمَقَاصِدُهُم لِلَّهِ وَحدَهُ، طَلَبًا لِرِضَاهُ وَثَوَابِهِ، وَتَفَرَّعَت أَعمَالُهُمُ الظَّاهِرَةُ وَالبَاطِنَةُ عَلَى هَذَا الأَصلِ الطَّيِّبِ الجَلِيلِ، وَمَثَلُ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝٢٤ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤ - ٢٥]»[1].

كُن مِن أَهلِ الإِخلَاصِ: الَّذِينَ أَعمَالُهُم كُلُّهَا لِلَّهِ، وَأَقوَالُهُم لِلَّهِ، وَعَطَاؤُهُم لِلَّهِ، وَمَنعُهُم لِلَّهِ،

(١) «فتح الرحيم الملك العلَّام» (ص١٠٠).

وَحُبُّهُم لِلَّهِ، وَبُغْضُهُم لِلَّهِ.

قَالَ العَلَّامَةُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

عَزَفُوا القُلُوبَ عَنِ الشَّوَاغِلِ كُلِّهَا
قَد فَرَّغُوهَا مِنْ سِوَى الرَّحمَنِ
حَرَكَاتُهُمْ وَهُمُومُهُم وَعُزُومُهُم
لِلَّهِ لَا لِلخَلْقِ وَالشَّيطَانِ[1]

كُن مِن أَهلِ الإِخلَاصِ: الَّذِينَ مَعَامَلَتُهُم ظَاهِرًا وَبَاطِنًا لِوَجهِ اللَّهِ وَحدَهُ، لَا يُرِيدُونَ بذَلِكَ مِنَ النَّاسِ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا، وَلَا ابتِغَاءَ الجَاهِ عِندَهُمْ، وَلَا طَلَبَ المَحمَدَةِ، وَالمَنزِلَةِ فِي قُلُوبِهِم، وَلَا هَرَبًا مِن ذَمِّهِم، بَل قَد عَدُّوا النَّاسَ بِمَنزِلَةِ أَصحَابِ القُبُورِ، لَا يملِكُون لَهُم ضَرًّا وَلَا نَفعًا، وَلَا مَوتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا.

كُن مِن أَهلِ الإِخلَاصِ: فَإِنَّ اللَّهَ سُبحَانَهُ إِنَّمَا أَمَرَ بِعِبَادَتِهِ عِبَادَةً خَالِصَةً، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

(١) «الدرة الفاخرة» (ص٢٩).

«فَمَنْ لَمْ يُخْلِصْ لِلَّهِ فِي عِبَادَتِهِ، لَم يَفْعَلْ مَا أُمِرَ بِهِ، بَلِ الَّذِي أَتَى بِهِ شَيءٌ، غَيرُ الَّذِي أُمِرَ بِهِ؛ فَلَا يَصِحُّ، وَلَا يُقبَلُ مِنهُ»[1].

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي؛ تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[2].

فَلَا يَقبَلُ اللَّهُ مِنَ العَمَلِ، إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا لِوَجهِهِ، عَلَى مُتَابَعَةِ أَمرِهِ.

كُن مِن أَهلِ الإِخلَاصِ: وَاجعَلِ الإِخلَاصَ نُصبَ عَينَيكَ فِي كُلِّ مَا تَأتِي وَمَا تَذَرُ، وفِي كُلِّ مَا تَقُولُ وَتَفعَلُ؛ «بِحَيثُ تَكُونُ الحَرَكَاتُ الفِعلِيَّةُ وَالقَولِيَّةُ، كُلُّهَا خَالِصَةً لِلَّهِ تَعَالَى، مُرَادًا بِهَا ثَوَابُهُ وَفَضلُهُ»[3]، حَتَّى يَكُونَ الإِخلَاصُ لَكَ نَعتًا، وَتَضمَحِلَّ عَن قَلبِكَ

(١) «الداء والدواء» (ص٢٠٢).
(٢) «موارد الأمان» (ص١٣٢- ١٣٣).
(٣) «المجموعة الكاملة» (٥/ ١/ ٤٨٩)، للعلَّامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

جَمِيعُ المَقَاصِدِ وَالأَغْرَاضِ المُنَافِيَةِ لِلإِخْلَاصِ.

نَسأَلُ اللَّهَ البَرَّ الرَّحِيمَ سُبحَانَهُ: أَنْ يَمُنَّ عَلَينَا وَعَلَيكُم: بِالإِخلَاصِ فِي الأَقوَالِ، وَالأَفعَالِ، وَالأَحوَالِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

✵ ✵ ✵

الفِهرِسُ

الموضوع ... الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع — الصفحة

* * *